المعجزة في ضوء الفكر الإسلامي الحديث

دكتور/ حسن أحمد محمد عبد اللطيف
مدرس الفلسفة الإسلامية
كلية دار العلوم – جامعة المنيا

مقدمة :

جاء العصر الحديث وجاءت معه الشكوك، فبينما تطاول العلم الحديث وتبنى اليقين والحتمية كأساس للعلوم الحديثة مستلهما في ذلك العلوم الرياضية . نجد على النقيض من ذلك أن الباحثين في الأديان تمسكوا بالتشكيك والرفض للعقائد الدينية.

والملاحظ أنّ الحتمية العلمية التي اعتمدها العلم الحديث هي التي أوحت للناظرين في الأديان رفض المعجزات التي تعتمد عليها الأديان في إثبات النبوات، أضحى إذن القول بالحتمية مظهرًا للعلم الحديث ووجب على المشتغلين بالعلوم التمسك به والدفاع عنه والسير معه إلى حيث سار مهما أدى ذلك.

والسؤال الذي نريد أن نطرحه هنا هو: إلى أيّ مدى تأثر المفكرون المسلمون بهذه الأفكار الحديثة وكيف كانت نظرة هؤلاء المفكرين إلى المعجزات؛ هل انساقوا وراء المقولات الغربية أم كانت لهم رؤيتهم الخاصة.

ويأتي هذا البحث ليوضح موقف المفكرين المسلمين في العصر الحديث من المعجزة، وقد جعلت عنوانه (المعجزة في ضوء الفكر الإسلامي الحديث) وجاء في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المعجزة مفهوم وإمكانية وعلاقة بالنبوة .

المبحث الثاني : معجزات الأنبياء السابقين .

المبحث الثالث : معجزات النبي الخاتم .

ثم خاتمة بها أهم النتائج ، وقائمة بالمراجع.

المبحث الأول:

المعجزة : مفهوم ، وإمكانية ، وعلاقة بالنبوة

أولًا : مفهوم المعجزة :

لغة : (المُعجِزة) ترجع إلى الأصل الثلاثي (عجِز) وهو أصل يدل على الضعف وعدم القدرة[١] ، و(معجزة) اسم فاعل من أعجز إعجازًا والإعجاز الفَوْت والسَبْق، يقال أعجزني فلان أي فاتني أو عجزت عن طلبه وإدراكه[٢].

قال الزبيدي(ت١٢٠٥ه) "ومُعجِزَة النبيِّ صلّى الله عليه وسلَّم : ما أَعْجَزَ به الخصمَ عند التَّحدِّي ، والهاءُ للمبالغة ، والجمْع مُعجِزاتٌ" [٣].

ويرى البعض أن اسم (معجزة) أي خالق العجز لا يطلق في الحقيقة على غير الله سبحانه؛ وتسمية غيره معجزًا كـ (فلق البحر) و (إحياء الميت) فإنما هو بطريق التجوز والتوسع[٤] .

والمُلاحَظ أن اسم " الْمُعْجِزَة " كان يَعُمُّ كُلَّ خارقٍ للعادة في اللُّغة وعُرْفِ الأئمَّة المُتَقَدِّمين كالإمام أحمد بنِ حَنْبَل وغيره وكانوا يسمونها (الآيَات) لكنّ كثيرًا من المتأخرين يُفَرِّقُ في اللَّفْظِ بينهما فيجعل " الْمُعْجِزَة " للنبي و " الكرامة " للولي وَجِمَاعُهُمَا الأمر الخارِق للعادة"[٥]

---

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ،١٩٧٩م ،ج ٤ ،ص ٢٣٢، وانظر: الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة،١٤٠٧هـ،١٩٨٧م، ج٣، ص ٨٨٣ ، ومابعدها

(٢) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبيروآخرون، دار المعارف، المجلد الرابع ،ج٣١ ،ص ٢٨١٧، وانظر: الجوهري : الصحاح في اللغة، ج٣، ص ٢١ ، ومابعدها

(٣) مرتضى الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية ،ج١٥ ،ص ٢١٢

(٤) انظر سيف الدين الآمدي: غاية المرام في علم الكلام ، تحقيق حسن محمود عبداللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٣٩١هـ، ص ٣٣٣، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش،و محمد المصري، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٤١٩ هـ،١٩٩٨ م ،ص ١٤٩، ابن تيمية:الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى١٤١٤هـ، تحقيق د/علي حسن وآخرون،ج٥،ص٤١٩

(٥) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن محمد قاسم،الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ،ج١١،ص ٣١٢

والمعروف أيضًا أن الوارد في القرآن هو لفظ الآية والبرهان والبينة والحق والسلطان والفرقان[١] ولم ترد لفظة المعجزة فيه.

وعند (رشيد رضا: ت١٩٣٥م) أن آيات النبوة أعم من المعجزات ، فمن آيات نبوته بشائر الأنبياء السابقة وهي لا تسمى معجزات[٢] .

ويفرّق (حسن حنفي) بين الآية والمعجزة: فالآية تتفق مع قوانين الطبيعة والعقل، في حين أن المعجزة _ في رأيه _ ضد قوانين الطبيعة والعقل[٣].

اصطلاحًا:

عندما نأتي إلى مفهوم المعجزة في الاصطلاح نجد تعريفات متعددة ومختلفة، فعند (الباقلاني ت٤٠٢هـ) أن المعجزِ الحقيقي هو ما ينفرد الله بالقدرة عليه ولا يصح دخوله تحت قدرة الخلق من الملائكة والبشر والجن[٤]، بينما عند (الإيجي٧٥٦هـ) المعجزة هي "ما قصد به إظهار صدق من ادّعى أنّه رسول الله"[٥] ، ونجد تعريفها عند (فخر الدين الرازي: ت٦٠٦هـ) بأنها :"أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة"[٦] ، وفي شرح العقائد النسفية هي "أمر يظهر بخلاف العادة على يدي مدّعي النبوة عند تحدّي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله"[٧]، وقريب منه تعريف (القاضي عبد الجبار:ت٤١٥هـ) بأنها:"ما من حقه أن يكون من فعله تعالى ويحدث عند ادّعاء النبي النبوةَ، ويكون ناقضًا للعادة، فيعلم أنه تعالى فعله

(١) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تحقيق أنور الباز،وعامر الجزار، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ،١٩٨١ م،ج٤،ص ١٢٤

(٢) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،١٣٢٧هـ ،الطبعة الثانية، المجلد السادس، ص٦٧

(٣) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي،المجلد الرابع من النبوة إلى المعاد، ٧٣

(٤) الباقلاني: كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، المكتبة الشرقية، بيروت، صححه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، ١٩٥٨م ،ص ٨

(٥)عضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام،عالم الكتب – بيروت ،ص٣٣٩

(٦) فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، مكتبة الكليات الأزهرية،ص ٢٠٧

(٧) سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية، مكتبة النشري للطباعة والنشر، كراتشي باكستان،١٤٣٠هـ ، ص ٣١٥-٣١٦

على سبيل التصديق له فيما ادّعاه من النبـــوة"[١]، كـــذلك تعريفهـــا عنـــد (الجرجـــاني ت٨١٦هـــ) بأنها:"أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادّعى أنه رسول من الله"[٢].

ويضع (رشيد رضا ت١٩٣٥م) المعجزة ضمن قسمي الخوارق فالأمر الخارق للعادة إما أن يكون خرقه لها بمجيئه على خلاف سنن الكون المعروفـــة ونقـــيض مـــا تقتضيه ، أو بكونه لم تعرف له سنة طبيعية يندرج فيها ، وإن كان في الواقـــع ونفـــس الأمر مندرجًا تحت ناموس طبيعي غير معروف عند كافة الناس ، مثـــال الأول العلـــم والتهذيب اللذين كان عليهما نبينا عليه الصلاة والسلام مع كونه لم يتعلم ولـــم يتـــربَّ ، وكانت نشأته في قوم هم أبعد الناس عن العلوم التي جاء بها ، كعلـــم التوحيـــد وعلـــم الشرائع وعلم الاجتماع والسياسة المدنية والحربية ، ومنه إحياء الموتى لسيدنا عيـــسى وعصا سيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام ، ومثال الثاني المكاشفات ومعرفة بعـــض الأمور قبل وقوعها؛ فإن للنفوس البشرية والأرواح الإنسانية استعدادًا لهذا الأمـــر ، ولله تعالى فيه سنة روحية مخصوصة كسائر السنن الكونية ، ولكن هذه السُّنَّة لم تزل مـــن الأمور الغامضة التي لم يهتد إليها أكثر الناس[٣]. وبذلك فالمعجزة عنده هي مـــا حـــدث للأنبياء من أمور تخالف القوانين الطبيعية وهي عنده تخص الأنبياء فقط، لتتميز بـــذلك عن الكرامات وغيرها مما يحدث لغير الأنبياء.

ويورد (رشيد رضا ت١٩٣٥م) تعريف المعجـــزة كمـــا وردت فـــي قـــاموس الكتاب المقدس ويسمونها (عجيبة) وهي: حادثة تحدث بقوة إلهية خارقة مجرى العـــادة الطبيعية لإثبات إرسالية من جرب على يده أو فيه، والعجيبة الحقيقية هى فوق الطبيعـــة لا ضدّها، تحدث بتوقيف نواميس الطبيعة لا بمعاكستها، وهى إظهار نظام أعلـــى مـــن الطبيعة يخضع له النظام الطبيعى، ويناط فعل العجائب بالله وحده أو بمـــن ســـمح لـــه بذلك، وإذا آمنا بالإله القادر على كلّ شىء لم يعسر علينا التسليم بإمكان العجائـــب، ولا

(١) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، ضمن كتاب رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمـــارة،دار الشروق،الطبعة الثانية١٤٠٨هـــ،١٩٨٨م، ص ٢٦٥

(٢) الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب العربي بيروت، تحقيق إبراهيم الإبياري، ١٤٠٥هـــ ،ص ٢٨٢

(٣) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثاني، ص٤١٧

بد من العجائب لتعزيز الديانة؛ فكثيرا ما يستشهد المسيح بعجائبه لإثبات لاهوته وكونه المسيح، وكان يفعلها لتمجيد الله ولمنفعة نفوس الناس وأبدانهم، وكان يفعلها ظاهرا أمام جماهير أصحابه وأعدائه ولم ينكروها[١] .

ويعرفها (العقاد: ت١٩٦٤م) _تعريفاً قريبا من تعريفات المتقدمين_ بأنها "حادث خارق لنواميس الكون التي يعرفها الإنسان مقصود به إقناع المنكرين بأن صاحبها مرسل من قبل الله إذ كان يأتي للناس بعمل لا يقدر عليه غير الله "[٢].

ومثله تعريف (محمد فريد وجدي: ت١٩٥٤م) بأنها :" الأمر الخارق للعادة الذي يحصل على يد نبي مرسل إدلالًا على صدق رسالته"[٣].

ومثله أيضًا تعريفها عند الإمام (محمد متولي الشعراوي:ت١٩٩٨م) بأنها:" خرق لنواميس الكون أو لقوانين الكون يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسوله ليدل على منهجه ويثبتهم فيه ويؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء وتنصرهم، والسماء حين تؤيد وتنصر تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئًا"[٤].

ولتوضيح مفهوم المعجزة وضع المتكلمون والمفكرون شروطًا للمعجزة، حيث جعل المتكلمون **شروط المعجز** هي : الأول: أن يكون فعل الله ، الثاني: أن يكون خارقًا للعادة، الثالث: أن يتعذر معارضته، الرابع: أن يكون ظاهرا على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له ، الخامس: التحدي_ ولم يشترطه البعض_ ، السادس: أن يكون موافقا للدعوى، السابع: ألا يكون ما ادعاه وأظهره مكذبا له، الثامن: أن لا يكون متقدما على الدعوى بل مقارنا لها[٥].

---

(١) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ، ص١٠٥،١٠٦

(٢) عباس محمود العقاد: ساعات بين الكتب، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد السادس والعشرون،الأدب والنقد،(٣)(ساعات بين الكتب) دار الكتاب اللبناني– بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م،ص ١٩

(٣) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر بيروت، المجلد السادس ،ص ٢٠٠

(٤) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، الناشر أخبار اليوم،ص ٦

(٥) الباقلاني : البيان، ص٢٧ـ٢٨ ،عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: المواقف ،ص٣٣٩-٣٤٠، وقد جعلها القرطبي خمسة شروط، انظر الجامع لأحكام القرآن ،ج١، ص٦٩، تحقيق هشام سمير البخاري،الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م

ويشترط (محمد عبده:ت١٩٠٥م) للمعجزة التحدي، والاقتران بدعوى النبوة[١]، بينما يشترط (العقاد:ت١٩٦٤م) شرطين آخرين، أن المعجزة تكون من حُسن ورجحان، وأنها من قدرة الله وحده لا من قدرة أحد سواه [٢].

ولزيادة توضيح مفهوم المعجزة بيّنوا أنواع المعجزات، فهذا (أبو البقاء الكفوي:ت١٠٩٤هـ) يوضح أن هناك:

١ – المعجزة الحسية : كإحياء الموتى ونبع الماء من الأصابع وهي للعوام .

٢ – والمعجزة العقلية : كالعلم بالمغيبات وهي لأولي الألباب .

٣ – والمعجزة الذوقية الحدسية : كالقرآن وهي لأرباب القلوب .

وفي رأيه أن الأولى أقوى ثم الثانية ثم الثالثة وفي الباطن والشرف على العكس والإيمان بسبب الأولى أقل ثوابا وتركه أشد عقابا ثم الثانية ثم الثالثة فهو أكثر ثوابا وتركه أقل عقابا لأن الإيمان بالغيب أقوى والمعجزة الظاهرة إدراكها أسهل[٣].

وفي **رأي الباحث** أنه يمكن _ من خلال ما تقدّم _ أن نضع تعريفًا للمعجزة وهو : (المعجزة أمر خارق للعادة لا يقدر عليه إلا الله ولا يكون إلا على أيدي الرسل وهو واضح الدلالة على صدقهم) .

إذن المعجزة لا تأتي وفق القوانين الطبيعية المعروفة وإنما تخرقها خرقًا واضحًا إما بأن تعطلها كمعجزة نجاة إبراهيم عليه السلام من النار حيث تعطل عمل النار، وإما أن تحدث المعجزة على غير نظام الطبيعة كما في معجزة قلب العصا حية فهذا لا يكون في الطبيعة، وهي لا تدخل تحت قدرة أحد من البشر فهي في مقدور الله وحده لأن البشر لا يستطيعون فعلًا إلا باتخاذ الأسباب الطبيعية ووفق قوانين طبيعية وهكذا كل أفعالهم ومخترعاتهم ولذلك يقدر عليها كل من عرف أسبابها، خلافًا للمعجزة التي لا يُعرف لها سبب وإنما تحدث بلا سبب طبيعي ، بل يفعلها الله وبلا سبب

(١) محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى،١٤١٤هـ،١٩٩٤م، ص ٨٢

(٢) عباس محمود العقاد: ساعات بين الكتب،،ص ٢٣

(٣) أبوالبقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الأولى،المحقق :عدنان درويش، محمد المصري،ص ١٥٠

طبيعي، وهي أيضًا لا تحدث إلا للأنبياء فهي خاصة من خواص الأنبياء وما يحدث لغيرهم من خرق للعادة لا يُسمَّى معجزة .

ثانيًا : إمكانية المعجزة

كتب (أبو حامد الغزالي:ت٥٠٥هـ) في (تهافت الفلاسفة) مثبتًا إمكانية وقوع المعجزات وأنها ليست من المحالات العقلية، ودليله على ذلك :

١ – أن المادة قابلة لكل شيء فيمكن قلب العصا حية ذلك لأن التراب يستحيل نباتًا والنبات يأكله الحيوان فيستحيل دمًا والدم يستحيل منيًّا والمني يتخلق حيوانا في الرحم وهكذا عبر هذه الأطوار يتحول التراب إلى حيوان فلا مانع إذن أن الله يختصر الوقت ويحيل المادة حيوانا وتكون معجزة للنبي[١].

٢ – "إن من استقرأ عجائب العلوم لم يستبعد من قدرة الله تعالى ما يُحكَى من معجزات الأنبياء عليهم السلام"[٢]

ومعنى ذلك أن المعجزات تجري وفق القوانين الطبيعية ولكن الكثير من الناس لا يعرفون هذه القوانين ولذلك ينكرون المعجزات .

٣ – ومن المعلوم أن (الغزالي) لكي يثبت إمكانية المعجزة قال برفض الاقتران الضروري بين الأسباب والمسببات، لأنه في رأيه أن القول بهذا الاقتران الضروري يؤدي إلى رفض المعجزات والقول باستحالتها، وهذا في رأيه ما قالت به الفلاسفة حيث نسب إليهم إنكار المعجزات ثم تأويل ما جاء في القرآن منها[٣] وقد ذكر استدلالهم على عدم إمكانية معجزة نجاة سيدنا إبراهيم من النار ثم فنّده[٤].

لكن (ابن رشد:ت٥٩٥هـ) ينكر هذه التهمة مؤكدًا أن الفلاسفة لم يتعرضوا للمعجزات لأنها مبادئ الشرائع، والفاحص عنها أو المشكك فيها يحتاج إلى عقوبة

(١) أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر،الطبعة السادسة،ص ٢٤٦

(٢) أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة،ص ٢٤٨

(٣) أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة،ص ٢٣٦

(٤) أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة،ص ٢٤٣

عندهم وأن المعجزات أمر إلهي لا تدرك حقيقته العقول البشرية[١]، وأن من أنكر المعجزات هم زنادقة الإسلام وليس الفلاسفة[٢].

نعم لم يرد عن الفلاسفة إنكار المعجزات فهذا ابن سينا _الذي يشتد الغزالي في انتقاده ويجعله الممثل الأول للفلاسفة_ تكلم عن وقوع المعجزات ونصح بأنه لا يصح المسارعة إلى إنكار ما يصل إلينا من الغرائب والعجائب ما لم يقم برهان على استحالتها، لأن في الطبيعة عجائب وللقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على الغرائب[٣] .

إذن فالفلاسفة وخاصة المسلمون منهم بريئون من هذه التهمة فهم رغم قولهم بالترابط الضروري بين الأسباب والمسببات لم يُعرف عنهم إنكار المعجزات ، وعلى هذا فإن المعجزات ثابتة عند من يقول بالسببيّة وعند من ينكرها .

ولكنا نجد الملاحدة هم الذين تكلموا في المعجزات مثل (ابن الراوندي:ت٣٠١هـ) فقد ذكر (أبوالحسين الخياط:ت٣٠٠هـ) أن له كتابا اسمه (الزمرذ) قال فيه إن آيات الانبياء ما هي إلا مخاريق ومن جاءوا بها كانوا سحرة ممخرقين[٤] وقد كتب في الرد عليه داعي دعاة الإسماعيلية (هبة الله الشيرازي:٤٧٠هـ) في كتابه (المجالس المؤيدية) ، وكذلك من هؤلاء الملاحدة (أبو بكر الرازي الطبيب:٣١١هـ) حيث كتب كتابين في الهجوم على النبوة والمعجزات الأول أسماه(مخاريق الأنبياء أو حيل المتنبئين) والثاني هو (نقض الأديان أو في النبوات)[٥]وقد ردّ عليه داعي الإسماعيلية (أبو حاتم الرازي:ت٣٢٢هـ) في كتابه (أعلام النبوة ، الرد على الملحد أبي بكر الرازي) .

---

(١) ابن رشد: تهافت التهافت،تحقيق د/ سليمان دنيا،دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م،القسم الثاني ،ص ٧٧٣

(٢) ابن رشد: تهافت التهافت،ص ٧٩١

(٣) ابن سينا: الإشارات والتنبيهات،تحقيق د/ سليمان دنيا،دار المعارف بمصر، ١٩٦٨، الطبعة الثانية،القسم الرابع، التصوف ،ص ١٦١

(٤) أبو الحسين الخياط: الرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق دكتور نيبرج، نشر :مكتبة الدار العربية للكتاب– القاهرة،نشر:أوراق شرقية – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م،ص ٢–٣

(٥) إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة،١٩٧٦،ص ٨٩

والحقيقة أن إنكار المعجزات ظهر بشكل واضح في العصر الحديث وظهر كأنه متوافق مع العلم المادي الحديث ، فقد اقتنع فلاسفة العصر الحديث وعلماؤه أن العالم يسير وفق قوانين وقواعد لا تتغير أبدًا ولا يمكن أن يتدخل في عمل الطبيعة أحد ، وليس هناك غايات أو أهداف لأحداث وأعمال الطبيعة خيرا كانت أو شرا[١] وأصبح من العسير على الإنسان المعاصر الذي لم يدرك حوله البعد الإلهي أن يفهم الأحداث التي أسست الديانات الكبرى ومن ضمنها المعجزات[٢].

وهذا ما نبّه إليه (رشيد رضا:ت١٩٣٥هـ) من أن الخوارق وأمثالها مما ينفّر العلماء عن الدين في هذا العصر[٣].

لقد هاجم الفلاسفة العقليون المعجزات وخاصة (ديفيد هيوم:ت١٧٧٦م) ففي رأيه أن المعجزة خرق للمسلك العام للطبيعة وهي بذلك لا يمكن حدوثها وكذلك لا يمكن التصديق بها لأن روايات المعجزات تعرضت للتحريف مثل بقية الروايات التاريخية التي جاءت عبر عصور كانت جاهلة بأدنى معرفة بالتوثيق والنقد التاريخي ، وكذلك عدم توافر التواتر في هذه الروايات، كما زعم أن الإيمان بالخوارق لا يشيع إلا بين الأمم الجاهلة[٤].

ويقرر (هيوم:ت١٧٧٦م) في كتاب (مبحث في الفاهمة البشرية)" أنه لا يمكن لأي شهادة بشرية أن يكون لها ما يكفي من القوة لإثبات معجزة "[٥] ، ويقول "إن أي شهادة لا تكفي لإثبات معجزة إلا إذا كانت الشهادة من النوع الذي يكون كذبها أكثر إعجازًا من الواقع التي تحاول إثباتها وحتى في هذه الحالة يحصل دحض متبادل

(١)جون هرمان راندال : تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ترجمة د. جورج طعمة،دار الثقافة بيروت ،ص ٣٦٠

(٢) رون هاليبر: العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار، الجهود الفلسفية عند محمد أركون، ترجمة جمال شحيد، ط١، ٢٠٠١م، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا ،ص ٣٧

(٣) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١٠٥

(٤) د/ محمد عثمان الخشت: الدين والميتافيزيقا عند هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٣١

(٥) ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية ، ترجمة د.موسى وهبة، دار الفارابي،بيروت لبنان، الطبعة الأولى،٢٠٠٨ ص ١٧٤

للحجج وتعطينا الحجة الأقوى وحدها يقينا متناسبا مع درجة القوة الباقية بعد طرح القوة الأضعف"[١]

ومن العجيب أن (هيوم:ت١٧٧٦م) من أبرز الرافضين لفكرة الترابط الضروري بين الأسباب والمسببات؛ إذ يقول: " عندما ننظر خارجنا نحو الأشياء الخارجية ونتأمل في عمل الأسباب لا نكون قادرين البتة على أن نكتشف من حالة واحدة قدرة أو اقتراناً ضروريًّا أيْ خاصية تقرن الأثر إلى السبب وتجعل من الواحد النتيجة المحتمة للآخر، وسنجد فقط أن الواحد يلي الآخر بالفعل في الواقع[٢] وهذا يوضح أن "الأسباب والمسببات لا تكتشف بالعقل بل بالخبرة"[٣]. وهو في هذا يوافق (الغزالي:٥٠٥هـ) إلا أن (الغزالي) أنكر هذا الترابط الضروري ليجعل المعجزة ممكنة، ولكن (هيوم) رغم اعتناقه هذه الفكرة إلا إنه لا يرى إمكانية المعجزة!

ولابد أنّ (محمد أسد:ت١٩٩٢م) تأثّر بكل بهذا الاتجاه في الفكر الغربي فهو وليد هذه الثقافة ولذا نراه يصرح بإنكار وقوع المعجزات ويعتبرها مجرد أساطير ويعلل وجود هذه المعجزات أو الأساطير المنسوبة للأنبياء في القرآن لكونها كانت ضاربة بجذورها في عقول الناس في ذلك الزمان فاستخدمها القرآن ليبث تعاليمه العقدية والأخلاقية ودون أن يؤكد صحتها أو يدحضها، ثم يعطي تأويلات للمعجزات فالحوت الذي ابتلع يونس عليه السلام هو رمز للغم والكرب الذي وقع فيه ويفسر الطير الأبابيل كما فسرها الإمام محمد عبده [٤] .

وكان (العقاد١٩٦٤م) ممن عُنِيَ بالرد على (هيوم:١٧٧٦م)؛ وبعد أن يوجز العقاد رأي وأدلة هيوم في إنكاره للمعجزة يقول العقاد إنَّ في رأيه وجاهة ولكن كذلك فيه مغالطة لأن دعوى النبي أنه مرسل من الله برسالة لابد من الإيمان بها للنجاة وليس

(١) ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية، ص ١٥٩-١٦٠

(٢) ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية، ص ٩٥

(٣) ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية ، ص ٥٢

(٤) محمد أسد: رسالة القرآن ، ص ٦٦، ٩٨٩، نقلًا عن د/سيد حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ج٢، دار ماجد عيري للنشر والتوزيع، ط١ ١٤٢٤هـ،٢٠٠٤م ،ص ١٧٧

يُطلب من النبي حينئذ إلا أن يأتي بعمل لا تشك في أنه عمل إلهي يعجز عنه كل البشر فإذا قدر على هذا الفعل فقد ألزمك الحجة ووجب عليك تصديق رسالته(١).

ثم يبيّن (العقاد:ت١٩٦٤م) أنّ الإسلام دين المعجزات في كل شيء ولكنه ليس بدين المعجزة التي تقحم العقل ولا تقنعه لأنه دين العقل والتفكير فريضة فيه ويؤمن المسلم بالنواميس الكونية أشد من إيمان الداعين إلى تقرير تلك النواميس باسم العلم التجريبي لأنه يؤمن بأن النواميس سنة الله في خلقه، ولكنه يؤمن كذلك بإمكان المعجزة لأنها ليست بأعجب مما هو حادث ومشاهد(٢).

وإذا ثبت أن التوحيد كان فتحًا وتصحيحًا لمسار النظر والعقل تجاه الطبيعة فكذلك الإيمان بإمكان المعجزة هو فتح لأنه يخلص العقل من حجر الحالة الواحدة التي تغلق عليه أبواب الاحتمال غير باب الواقع المحدود(٣).

والإسلام يضع المعجزة في موضعها من التفكير ومن الاعتقاد فهي ممكنة لا استحالة فيها على الخالق ولكنها لا تهدي من لم تكن له هداية من بصيرته واستقامة تفكيره فمن لم يهتد بآيات السماوات والأرض لن تزيده الخوارق إلا ضلالًا وهذا ما أوضحه القرآن الكريم ردًا على من طالبوا الرسول بالخوارق(٤).

فلا يمتنع عقلا أن تقع المعجزة وإنما الذي يمتنع عقلا أن تقع عبثًا لغير ضرورة مع إمكان الاستغناء عنها إذا تبين أن إقناع المكابرين كان ممكنًا بغيرها، إن تغير قوانين الكون ممكن إذا كان لحكمة أما المستحيل فهو وقوع التغيير عبثًا في الكون(٥).

---

(١) عباس محمود العقاد: ساعات بين الكتب،ص ٢١

(٢) عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد الخامس، بحوث إسلامية، دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م،ص ٩٠٩

(٣) عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد الأول، توحيد وأنبياء، دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م،ص ٥٣٢

(٤) عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية،ص ٩١٢

(٥) عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد الرابع، القرآن والإنسان، دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م،ص ٣٤

كذلك لا يجوز إنكار خوارق العادات لأننا علمنا في هذا العصر أن أمورًا كانت تعد في الماضي من الخوارق ثم أصبحت اليوم من الممكنات المتواترات وما جاز فيما نعلمه يجوز فيما نجهله فلا استحالة في خوارق العادات ومن قال باستحالتها لزمه الإثبات لأنه يدعي الاستحالة عقلا بغير دليل(١).

وبذلك تتضح رؤية العقاد للمعجزة حسب الفهم الإسلامي لها فهي ممكنة وغير مستحيلة عقلا، وهي تدخل تحت قدرة الخالق العظيم الذي كلّ مخلوقاته هي معجزات واضحة أمام أعيننا في كل وقت، وهو سبحانه لا يحدث معجزة لنبي إلا لحكمة، وبهذا يصير الاعتقاد بإمكانية المعجزة غير معطّل للعقل الذي لطالما حفزّه القرآن الكريم، بل يُخرج العقل من حجر الحالة الواحدة الرتيبة.

والمعجزة عند الإمام (محمد عبده:ت١٩٠٥م) ممكنة ودليله :

أنها ليست من نوع المستحيل عقلا لأنّ مخالفة السير الطبيعى المعروف فى الإيجاد مما لم يقم دليل على استحالته بل ذلك مما يقع ، ومن يقول إن ذلك لا بد أن يكون تابعا لناموس آخر طبيعى يقول له الإمام إن واضع الناموس هو موجد الكائنات فليس من المحال عليه أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات غاية ما فى الأمر أننا لا نعرفها ولكنا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده على أننا بعد الاعتقاد بأن صانع الكون قادر مختار يسهل علينا العلم بأنه لا يمتنع عليه أن يحدث الحادث على أى هيئة وتابعا لأى سبب إذا سبق فى علمه أنه يحدثه كذلك(٢) .

ويوضح مذهبه أيضا في إمكانية المعجزة وكون الاعتقاد بها لا ينافي الاعتقاد بالقوانين الطبيعية المطردة ما ذكره في تفسير المنار من أَنَّ الْخَوَارِقَ الْجَائِزَةَ عَقْلًا ، أَيِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا اجْتِمَاعُ النَّقِيضَيْنِ ، وَلَا ارْتِفَاعُهُمَا لَا مَانِعَ مِنْ وُقُوعِهَا بِقُدْرَةِ اللهِ – تَعَالَى – فِي يَدِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، ثم يؤكد على أنه يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا عَلَى ظَاهِرِهَا ، ثم إنه يجب أَلَّا يَمْنَعُنَا هَذَا الْإِيمَانُ مِنَ الِاهْتِدَاءِ بِسُنَنِ اللهِ فِي الْخَلْقِ وَاعْتِقَادِ أَنَّهَا لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَحَوَّلُ (٣).

(١) عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ،ص ٩١٠-٩١١

(٢) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص٨١، ٨٢

(٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١،ص ٢٦١

وعند (رشيد رضا:ت١٩٣٥م) أَنَّ العَقْل لا يمنع إلا وقوع الْمُحَالِ ، وعلى ذلك لايُمْكِنُ أَنْ يُؤَيَّدَ نَبِيٌّ بِمَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَحِيلَ لَا يُمْكِنُ وُقُوعُهُ ، وعلى ذلك فما وَقَعَ لَا يَكُونُ مُسْتَحِيلًا ، وَلِذَلِكَ سَمَّى الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُعْجِزَاتِ (خَوَارِقَ الْعَادَاتِ)، ثم يوضح خلاف المتكلمين حول كيف تحدث المعجزة، فيذكر أن منهم من يعتقد أنّ المعجزة لها أَسْبَاب خَفِيَّة رُوحِيَّة، ولكن المشهور عندهم أَنَّ اللهَ يَخْلُقُهَا بِغَيْرِ سَبَبٍ لِتَدُلَّ عَلَى أَنَّ السُّنَنَ وَالنَّوَامِيسَ لَا تَحْكُمُ عَلَى وَاضِعِهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفُ بِهَا ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ ؛ لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ ، وَإِلَّا فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفِيَ ذَلِكَ النَّفْيَ الْمُطْلَقَ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ؟[١] .

ويتابع الشيخ(مصطفى صبري:ت١٩٥٤م) منهج (الغزالي:٥٠٥هـ) ويؤكد كالأشاعرة أن الفاعل الحقيقي هو الله لا الأسباب المادية فليست النار هي الحارقة وإنما هو الله، والقوانين الطبيعية ليست ضرورية ضرورة منطقية حتى لا يمكن مخالفتها ويستشهد بأقوال علماء يؤكدون أنه لا يوجد محال طبيعي تجريبي، وقدرة الله تتعلق بكل الممكنات ولا تتعلق بالمحال عقلا كالجمع بين النقيضين[٢].

أما (فريد جدي:ت١٩٥٤م) فيستنكر موقف المنكرين للمعجزات ويحصرهم في أولئك الماديين الذين وقفوا بمعرفتهم مع النظرة المادية التي صارت قديمة الآن ولم يطلعوا على مقررات العلم المعاصر الذي أقر بوجود أمور لا تسير وفق قوانين الطبيعة مثل التنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح والتأثير في الأشياء عن بعد[٣].

ثالثًا : علاقة المعجزة بالنبوة

المعجزة كما أوضح الدكتور (الخشت) هي أحد مرتكزات الدين التي يقوم عليها أي دين[٤]،ولذلك يرى الدكتور (عبد الرحمن بدوي:ت٢٠٠٢م) أن مسألة المسائل في علم النبوات الإسلامي هي مسألة المعجزات[٥]، ومن أجل هذا شغلت مسألة

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،ص ٢٦١ ،٢٦٢

(٢) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ، ج٤،ص ٣١ ،٣٢ ،٣٣

(٣) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، المجلد الثالث٦٩٦، المجلد السادس ،ص ٢٠٢

(٤) د/ محمد عثمان الخشت: الدين والميتافيزيقا عند هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٢٥

(٥) عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام،سينا للنشر،الطبعة الثانية،١٩٩٣م ، هامش ص١٢٤

المعجزات المركز الأول في البحوث الكلامية في النصف الأول في القرن الثالث الهجري[١].

إن المعجزة حسب الرؤية التراثية لها مكانها المحوري في معرفة النبوة، فهي الدالة على النبوة، وهي برهان الأنبياء عند المتكلمين لذلك يرى (القاضي عبد الجبار:ت٤١٥هـ) وجوب معرفة المعجزات وصفتها للمؤمن لكونها الدالة على النبوة[٢]، وهي عند (ابن حزم:٤٥٦هـ) برهان صدق النبوة لأنه لما سأل الناسُ الرسلَ عن صدق ما ادعوه من كونهم رسل الله أتَوا بأعمالٍ هِيَ خِلافٌ لطبائع ما في العالم لا يُمْكِن أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهَا مَخْلُوق، فَصَحَّ ضرُورة أَنَّ اللَّه تعالى شَهِدَ لهم بما أظهر على أيديهم[٣]، والمعجزة عند (ابن سينا:٤٢٧هـ) واجبة ليتميز النبي عن غيره حيث يقول:" فواجب إذًا أن يوجد نبي وواجب أن يكون إنساناً وواجب أن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمرًا ليس يوجد لهم فيتميز به عنهم فتكون له المعجزات التي أخبرنا بها"[٤].

وعند الإمام (محمد عبده:١٩٠٥م) أن النبي يستند في دعواه النبوةَ إلى المعجزة، فهي تأييد من الله للنبي فمتى ظهرت المعجزة وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقاً لمن ظهرت على يده وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرة[٥]، ويرى الأستاذ الإمام أن على المؤمن أن يؤمن بأنَّ الرسل مؤيدون من العناية الإلهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة البشرية وأن هذا الأمر الفائق المعروف للبشر هو المعجزة الدالة على صدق النبى فى دعواه فمتى ادّعى الرسول النبوةَ واستدل عليها بالمعجزة وجب التصديق برسالته[٦] ، فدعوى النبوة

(١) عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ، ١٤٠

(٢) القاضي عبدالجبار: المختصر في أصول الدين،ص ٢٦٣، والمغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٥ التنبوات والمعجزات، تحقيق محمود محمد قاسم ، ص١٤٧ومابعدها

(٣) ابن حزم: المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار ، ج١ ص١١ومابعدها

(٤) ابن سينا: كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، نقحه وقدم له د/ماجد فخري، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت،ص ٣٣٩

(٥) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص ٨٢

(٦)محمد عبده: رسالة التوحيد، ص٨١،٨٠

والرسالة إذن _عند الإمام محمد عبده_ تحتاج إلى خارق (معجزة) بخلاف الدعوة إلى توحيد الله فطريقها هو النظر العقلي وحده، ولكنه يجعل القرآن وحده هو هذا الخارق الذي نعوّل عليه في إثبات نبوة رسولنا الكريم، لأنه هو الذي تواتر خبره، ولم ينقطع أثره(١).

كذلك (رشيد رضا:ت١٩٣٥م) يرى أن الآيات أو المعجزات يؤيد اللهُ بها الرسلَ لأجل إذعان الناس لهم وقبول دعوتهم فالقصد منها الحمل على قبول الدعوة والإذعان للرسالة وإقامة الحجة البالغة على المعاندين(٢).

ويبين (رشيد رضا) كيف أنّ البشر كانوا في حاجة إلى ظهور المعجزات قديمًا فقد كانت في أزمنة تحقّق فيها أن البشر كانوا في أشد الحاجة إليها، وثبت أنهم انتفعوا بها ذلك لأنهم كانوا لم يرتقوا إلى معرفة العقائد ببراهينها وكانوا ألاعيب في أيدي السحرة فأنقذهم الأنبياء بتأييد الله ، وعلموهم أن أولئك السحرة قوم مبطلون وأن التصرف فيما وراء الأسباب خاص بالله تعالى وحده وأن تلك الأعمال التي يظهر بادي الرأي أنها عن اقتدار إنما هي {كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (طه : ٦٩)، ولولا أن جاء كل نبي بمعجزة أو أكثر لما تسنَّى له جذب أولئك القوم الغلف القلوب، الغلاظ الرقاب،الضعاف الاستعداد"(٣).

وفي رأي الشيخ (مصطفى صبرى:ت١٩٥٤م) أن نظام العالم هو دليل على وجود الله وتغيير نظام العالم بالمعجزة دليل على وجود الأنبياء(٤). ولأهمية المعجزة للنبوة وارتباطها بها يؤكد أن إنكار المعجزة ملازم لإنكار النبوة(٥).

وفي رأيي إن المعجزة ليست ضرورية للنبوة ، فالأنبياء عليهم السلام يعرفون بسيماهم وسمتهم وأخلاقهم وحسن سيرتهم، وقوة حجتهم وأصالة دعوتهم ونبل مقصدهم وصدق حديثهم وصحة شرعهم وزهدهم في الدنيا، كل ذلك كان يخلق في النفوس

(١) محمد عبده:الأعمال الكاملة: الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م،ص ٢٩٨

(٢) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الرابع، ص ٣٧١

(٣)محمد رشيد رضا: مجلة المنار،المجلد السادس، ص ١٦-١٧

(٤) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ٣٠

(٥) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ٩

تصديقاً لهم وإذعاناً وعلى ذلك آمن الكثير من المؤمنين في كل عصر ولذلك يرى (ابن رشد) "أن المعجز في العلم والعمل هو الدلالة القطعية على صفة النبوة وأما المعجز في غير ذلك من الأفعال فشاهد لها ومقو"[١]،وينسب إلى المعتزلي (ثمامة بن أشرس:ت٢٥٥هـ) أنه قال إن النبي لا يحتاج في الحجة على نبوته إلى أكثر من سلامة شرعه[٢]، أما (أبو حامد الغزالي:ت٥٠٥هـ) فيقول"إذا فهمت معنى النبوة فأكثرتَ النظر في القرآن والأخبار، يصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة، وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب، فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة، لا من قلب العصا ثعباناً، وشق القمر، فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده، ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر، ربما ظننت أنه سحر وتخييل"[٣].

فلم تكن المعجزات _وخاصة الحسية_ هي السبب في إيمان من آمن لذلك يرى (حسن حنفي) أن الذين صدقوا بالأنبياء عن طريق المعجزات أقل من الذين صدقوا بهم عقلا ومصلحة وتشريعًا[٤]، ولا حاجة لصدق النبي إلا اتفاق رسالته مع العقل وقد كان العقلاء معجبين بشخصية النبي وشريعته دونما الحاجة للمعجزات[٥].

ولذلك يرى (حسن حنفي) أن المعجزات هي أضعف موضوعات علم الكلام وأبعدها عن العقل وأنه يجب إدخالها في العقليات بالتدريج[٦].

(١) ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق د/محمود قاسم،الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٦٤م، ص ٢١٧

(٢) عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق،تحقيق محمد عثمان الخشت،مكتبة ابن سينا،ص ١٤٧

(٣) أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تقديم وتحقيق محمود بيجو،الطبعة الثانية، الناشر دار التقوى، ودار الفتح، ص ٧٤-٧٥

(٤) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ٧٢

(٥) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ١٦٥

(٦) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ١٦٥

المبحث الثاني :

موقف المفكرين من معجزات الأنبياء السابقين

من المعلوم بشكل قطعي من خلال النص القرآني أن الرسل والأنبياء السابقين كانت لهم معجزات كبيرة مثل طوفان نوح ونار إبراهيم وعصا موسى وفلق البحر له وإحياء الموتى لعيسى وحوت يونس وناقة صالح، وغيرها من المعجزات التي ذكرت في القرآن الكريم، وهذه المعجزات كانت في غالب الأمر معجزات كونية أو حسية تخرق القوانين الكونية المعروفة بشكل واضح، ويتمثل موقف المفكرين المحدثين تجاه هذه المعجزات في تقديم ١- التعليل والتبرير لهذه المعجزات، ٢-تأويل هذه المعجزات.

أولًا : تعليل وتبرير معجزات الأنبياء السابقين

قدم مفكرو الإسلام تعليلات وتبريرات لحدوث هذه المعجزات الحسية والتي كانت تدهش الناظرين في العهود القديمة السابقة على الإسلام:

١ – ضعف العقول وقلة العلم

حيث عللوا ذلك بضعف عقول الأقوام السابقة وعدم استنارة عقولهم بالعلم فجاءت المعجزات الحسية على حسب استعدادهم كما ذكر (محمد عبده)[١]، حيث يقول: "جاءت الأديان والناس من فهم مصالحهم العامة بل والخاصة فى طور أشبه بطور الطفولية للناشىء الحديث العهد بالوجود لا يألف منه إلا ما وقع تحت حسه .. فلم يكن من حكمة تلك الأديان أن تخاطب الناس بما يلطف فى الوجدان أو يرقى إليه بسلم البرهان .. وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم وتنفعل به مشاعرهم"[٢]

٢ – غلظ الشعور

وزعم (محمد فريد وجدي:ت١٩٥٤م) أن القدماء كانوا غلاظ الشعور فلما كان العصر الذي أرسل فيه الرسول كانت القلوب قد رقت والعقول قد ارتقت والشعور

(١) محمد عبده:الأعمال الكاملة: الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م،ص ٢٩٨

(٢) محمد عبده: رسالة التوحيد ،ص ١٤٧، ١٤٨

تلطف فلم يرسل رسوله بالمعجزات الخارقة لنظام الطبيعة فجعل معجزاته الحكمة وفصل الخطاب وإحقاق الحق وازهاق الباطل والسيرة الصالحة[١].

٣ – العجز عن النظر العقلي الخالص

بينما زعم (نديم الجسر:ت١٩٨٠م) أن البشر في العهود القديمة كانوا عاجزين عن النظر العقلي الخالص فاقتضت الحكمة عند دعوتهم للإيمان أن يخاطبوا بدليل المعجزة ولكن لما ترقّت الإنسانية وتقدم العلم قضت حكمة الله أن يخاطبوا بالأدلة العقلية القاطعة وهذا ما سلكه الوحي في القرآن واعتمده أكثر من المعجزات[٢].

٤ – غلبة التصور المادي في العصور القديمة

يرى (محمد حسين هيكل:ت١٩٥٦م) أنّ هذه المعجزات كانت مناسبة للعصور القديمة التي غلب فيها التصور المادي فكان الأنبياء يعتمدون على هذه المعجزات في دعوتهم ولكن تيقظ العقل بفضل الفلسفة اليونانية التي تشبعت بعلوم الفراعنة، وتنبه الناس إلى أن الخوارق لا تنهض دليلا على شيء فجاء الإسلام الذي ركّز على الخطاب العقلي بجانب الروح والوجدان[٣] .

وفي رأيي إن ذلك التعليل وهذا التفسير غير صحيح فالزعم بأن القدماء كانوا ضعاف العقول وقليلي العلم أو غلاظ الشعور مما جعل معجزات أنبيائهم حسية لا عقلية هذا في رأيي كلام خاطئ، فالقدماء ربما كانوا أكمل منّا عقلًا وأكثر منّاعلمًا، وآثارهم الفكرية والعلمية والمادية دالّة على ذلك، والقرآن شاهد على ذلك كما في قوله تعالى :"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (غافر:٨٢، ٨٣) وكذلك قوله تعالى "وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

(١) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر بيروت، المجلد السادس ،ص ٢٠١

(٢) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، توزيع دار العربية، الطبعة الثالثة١٣٨٩– ١٩٦٩، ص١٨٠

(٣) محمد حسين هيكل : حياة محمد : دار المعارف ، الطبعة الرابعة عشرة، ص ٥٦٨، ٥٦٩

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الأحقاف ٢٦)، فهل كان الفراعنة –الذين أظهر بينهم موسى عليه السلام معجزاته– ضعاف العقول قليلي العلم، وهم باعتراف الجميع بلغوا أعلى سلم الحضارة ولم يصل إلى مستواهم أحد حتى الآن[١].

وإني لأعجب من تجاهل المتكلمين القدماء والمفكرين في العصر الحديث للتوارة والإنجيل والزابور، أفليست هذه معجزات عقلية وعلمية كانت لأنبياء سابقين في العصور القديمة؟ وهل خلا كل منها من الإعجاز العقلي والعلمي والتشريعي، لماذا قصُر متكلمونا ومفكرونا المعجزات الحسية على الأنبياء السابقين ثم أغفلوا الحديث عن معجزاتهم العقلية والعلمية وهي واضحة في القرآن الكريم، فالله تعالى يقول : "وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وأَنْزَلَ الفُرْقَانَ"(آل عمران ٣،٤) وقال عن التوراة:" إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُور"(المائدة ٤٤) وقال عن الإنجيل:" وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ"(المائدة ٤٦) فالتوراة والإنجيل مثل القرآن جاءا هداية للناس إذ هما من عند الله سبحانه، فكيف لا يحتويان معجزات عقلية وعلمية وتشريعية، ألسيت التوراة والإنجيل كلام الله! فهل يخلو كلام الله سبحانه من كل أنواع الإعجاز، كما أنه لا يمكن الشك في أن الأنبياء والرسل قد كانت لهم معجزات عقلية ولا يمكن التصديق بأن الله جعل لهم نوعًا واحدًا من المعجزات الحسية فقط، بل إن هناك من الأنبياء الذين لم يذكر معهم معجزة حسية وهذا يعني بلا شك أن معجزاتهم في الأغلب كانت عقلية وغير حسية مثل هود وشعيب وزكريا ويحيى وهود عليهم السلام.

إذن فليست المعجزات الحسية فقط هي ما اتكأ عليه الأنبياء والرسل في دعوتهم،وقلّما استجاب الأنبياء مطالب أقوامهم لعمل مثل هذه المعجزات، وقد جاء في الإنجيل ما يوضح أن المسيح كان لا يتشجع للمعجزات"فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ،لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ فَتَنَهَّدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ: لِمَاذَا يَطْلُبُ هذَا الْجِيلُ آيَةً؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَنْ يُعْطَى هذَا الْجِيلُ آيَةً"(إنجيل مرقس٨/ ١٢،١١).

(١)ول ديورانت : قصة الحضارة ، الشرق الأدنى، الجزء الثاني من المجلد الأول (٢)، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت ــ لبنان ،ص١٨٥ ،١٨٦

وهذا كان شأن النبي **صلى الله عليه وسلم** والذي لم يتفرد بذلك كما زعم المتكلمون والمفكرون في العصر الحديث، فكثيرًا ما طالبت قريش النبي بالمعجزات الحسية فكيف يصح قول من قال إن عصر النبي ترقى عقليًا وتخلص الناس فيه من الوهم والخيال وغلب عليهم العقل فلماذا إذن كثر طلبهم للمعجزات الحسية؟!، لم يكن انتهاء عصر المعجزات كما يزعم البعض سببه ترقي العقل البشري ولكن كان سببه ما ذكره الله في كتابه:" وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" (الإسراء:٥٩) فالمعجزات لم يؤمن بها كثير من الناس بل كذبوا وازدادوا عنادًا وصارت لا تَحدث إلا تخويفًا للناس.

إن كلام المفكرين عن تطور العقل البشري ومروره بأطوار كما أشاع الإمام (محمد عبده) وتبعه الكثيرون في ذلك هو تأثّر نوعًا ما بمقولة (أوجست كونت:ت١٨٥٧م) في المراحل الثلاثة للبشرية (مرحلة الخرافة والميتافيزيقا والمرحلة الوضعية). حيث يقول الإمام"فَانْتَهَى بِذَلِكَ زَمَنُ الْمُعْجِزَاتِ ، وَدَخَلَ الْإِنْسَانُ بِدِينِ الْإِسْلَامِ فِي سِنِّ الرُّشْدِ ، فَلَمْ تَعُدْ مُدْهِشَاتُ الْخَوَارِقِ هِيَ الْجَاذِبَةُ لَهُ إِلَى الْإِيمَانِ وَتَقْوِيمِ مَا يَعْرِضُ لِلْفِطْرَةِ مِنَ الْمَيْلِ عَنِ الِاعْتِدَالِ فِي الْفِكْرِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ ، كَمَا كَانَ فِي سِنِّ الطُّفُولِيَّةِ (النَّوْعِيَّةِ) بَلْ أَرْشَدَهُ – تَعَالَى – بِالْوَحْيِ الْأَخِيرِ (الْقُرْآنِ) إِلَى اسْتِعْمَالِ عَقْلِهِ فِي تَحْصِيلِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِالْوَحْيِ ، ثُمَّ جَعَلَ لَهُ كُلَّ إِرْشَادَاتِ الْوَحْيِ مُبَيِّنَةً مُعَلِّلَةً مُدَلِّلَةً"(١).

وفي سياق الرد على الغربيين المسيحيين الذي زعموا تناقض الإسلام والعلم، راح رجال الفكر الإسلامي يبرزون مدى توافق الإسلام مع العلم والعقل_كما رسم منهجه الغربيون_ وفي الوقت نفسه ردوا على الدين المسيحي تلك التهم وجعلوه مبنيًا على الخوارق والمعجزات فقط، فنرى الإمام (محمد عبده) وفي سياق رده على (فرح أنطون:ت١٩٢٢م) يقول :"أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماد له هو خوارق العادات، تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه؛ ثم إنه جعل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١،ص ٢٦١

إنجيل مَتَّى وغيره ، وإذا تتبعت جميع ما قال الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات ، ولا يخفى أن خارق العادة هو الأمر الذي يصدر مخالفًا لشرائع الكون ونواميسه ، فإذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين ؛ لم يبقَ عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص. زاد الإنجيل على هذا أن الإيمان ولو كان مثل حبة خردل كافٍ في خرق نواميس الكون كما قال في الإصحاح السابع عشر من متى : (فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك، فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم) [(١)].

ثانيًا : تأويل معجزات الأنبياء السابقين

في الحقيقة إن تأويل المعجزات ظهر قديمًا بين المسلمين، وقد نسب الغزالي إلى الفلاسفة تأويل كل المعجزات التي وردت في القرآن الكريم وذلك في رأيه جاء نتيجة تمسكهم بفكرة السببية[(٢)]، وذكر (أحمد أمين:ت١٩٥٤م) أنه قد ظهر قديمًا من يفسر القرآن بما يتفق مع العقل، فكل ما ورد في القرآن مما قد يخالف العقل أوّلوه، حتى ذهبوا في ذلك مذاهب غريبة، وفسروا خروج ناقة صالح بالحجة الدامغة، وقالوا في معجزة إبراهيم إنه طلا جسمه ببعض الأدوية التي يبطل معها عمل النار، وقالوا في أصحاب الفيل الذين أهلكهم الله بحجارة من سجيل إنه أصابهم الوباء من الماء والهواء، فحصبوا، وجدروا وهلكوا، وقالوا في هدهد سليمان إنه رجل، وفي النمل أنهم قوم ضعاف خافوا من عسكر سليمان، والجن والشياطين الذين سُخروا لسليمان أنهم عتاة الناس وأشداؤهم، وحذّاقهم، وعرفاؤهم بالأمور الغامضة، وكذلك في جميع معجزات الأنبياء، ولم يقروا لمحمد صلى الله عليه وسلم إلا بمعجزة القرآن، وفي رأيه أن ما دعاهم لذلك التأويل هو مبالغات القصاص وبعض المفسرين الذين ولعوا بالغرائب، والخرافات كالثعلبي والخازن[(٣)] .

(١) محمد عبده: الأعمال الكاملة،ج٣، ص ٢٧٧

(٢) أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر،الطبعة السادسة،ص ٢٣٦

(٣) أحمد أمين: ظهر الإسلام،موسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ،ص ٢٩٨

ثم ظهر هذا التوجه وشاع عند كثير من مفكري الإسلام في العصر الحديث من تأويل معجزات الأنبياء الكونية والحسية التي وردت في القرآن الكريم، وذلك كان نتيجة تأثرهم الواضح بالفكر الغربي الحديث الذي لا يقبل أي حديث عن خرق القوانين الطبيعية ، وعليه اجتهد كثير من مفكري الإسلام في تقديم تأويلات لهذه المعجزات ومحاولة إظهار أن تلك المعجزات جاءت موافقة لقوانين الطبيعة وأنها لم تكن خرقًا للنظام الطبيعي الحتمي، وهذا هو الرأي الذي أشاعه (سبينوزا:ت١٦٧٧م) في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) حيث يقول : "لا شك في أن الكتب المقدسة قد روت كثيرًا من الوقائع التي يقال عنها معجزات ويمكن دون عناء تعيين علتها بالمبادئ المعروفة للأشياء الطبيعية"(١)، ويرى أن غير ذلك هو فهم العامة الذين يرون أن المعجزات أعمال الله الخارقة للطبيعة، فعنده أن أفعال الله هي نفسها أعمال الطبيعة ولا فرق(٢).

كذلك كان (جان جاك رسو:ت١٧٧٨م) من المنكرين لكون المعجزات خارقة أو معطلة للنظام الطبيعي لأننا إن عرّفنا المعجزة بأنها خرق لقوانين الطبيعة، فلن نستطيع أبداً أن نعرف هل الشيء معجزة أم غير معجزة، لأننا لا نعرف كل قوانين الطبيعة، وكل يوم نشهد معجزة جديدة يحققها العلم، لا مخالفاً بذلك قوانين الطبيعة، بل بفضل معرفته بها معرفة أعظم، وإن كان يشوع أوقف الشمس، فأي واضع للتقاويم يستطيع الوعد بمثل هذه النتيجة إذا حسب كسوف الشمس. وكما أن الأوربيين الذين يجرون عجائب كهذه بين الهمج يعدهم هؤلاء آلهة، فكذلك معجزات الماضي–حتى معجزات المسيح–ربما كانت نتائج طبيعية فسرتها الجماهير خطأ بأنها تعطيلات إلهية للقانون الطبيعي. ولعل لعازر الذي أقامه المسيح من بين الأموات لم يكن في حقيقة الأمر ميتًا(٣).

---

(١) إسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م،دار التنوير، بيروت، ص ٢١٦

(٢) إسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م،دار التنوير، بيروت، ص ٢١٥

(٣)ول ديورانت : قصة الحضارة ، رسو والثورة، الجزء الأول من المجلد العاشر (٣٩)، ترجمة فؤاد أندراوس وعلي أدهم، دار الجيل، بيروت ــ لبنان ،ص٣٢٥

وربما كان (محمد عبده) وتلميذه (رشيد رضا) من أبرز المتشجعين لتأويل المعجزات وتنزيلها وفق قوانين الطبيعة، حيث يُنسب للأستاذ الإمام كثير من التأويلات المشهورة لمعجزات الأنبياء كما سنرى الآن، والشيخ (رشيد رضا) يؤكد أن كل الخوارق تجري وفق السنن الكونية وإن لم يعرف سببها وعلتها فيقول: مَن رأى بعينه خارقة للعادة أو نُقلت إليه بطريقة التواتر الصحيح وعرف أنها لم تكن خداعًا، وعلم أن من ظهرت على يديه ليس من أهل التلبيس والشعوذة ، ولا من طلاب المال والجاه، وصعب عليه أن يحملها على وجه من وجوه التأويل فإن له أن يقيسها على ما عرف تأويله بأن يقول : إن كثيرًا من خوارق العادات قد كان يظن أنها خارجة عن سنن الكون ثم ظهر أنها لم تكن شاذة عن تلك السنن الإلهية، وهذا الذي أراه الآن هو مثل تلك في ذاك الزمان ، فيجوز أن يظهر له مثل ما ظهر لها من السبب، وتزول الغرابة ويبطل العجب، وهذا الرأي هو الذي عليه جميع العقلاء والحكماء في هذا العصر وإنهم ليتوقعون ظهور علل جميع الغرائب التي حدثت في العالم حتى معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(١).

ثم يوضح في الوقت نفسه أن هذا الفهم للمعجزة لا خوف منه على الدين فإذا فرضنا أن العلم أظهر لما يُؤثَر من المعجزات عللاً روحانية وأسبابًا خفية فليس ذلك قدح في النبوة، وإنا يكون مظهرًا لحقيقة النبوة؛ كأن يتبين أن الأرواح العالية تتصل بالعالم الأعلى وتستمد منه قوة العلم والهداية وقوة الأعمال الغريبة، فإن لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدَّعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية، وما كانوا يدعون أن لهم سلطاناً في ملك الله تعالى وإنما كانوا يقولون: إنه واقع بإذنه، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم إلى الله على البرهان وكانوا لا يُعطون الآيات إلا بعد إلحاح، ولم تكن هي العمدة في الدعوة(٢).

ثم يوضح أن ما يُتوقّع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يُحْتَج على صحته إلا بالعجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم، ولا سند متواتر في

(١) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص ٥٨،٥٩

(٢) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص ٥٩

صحة كتابهم، وإنما البرهان عندهم تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كهنتهم أعظم منها(١).

وهكذا تبنّى مفكرونا في العصر الحديث تأويل المعجزات بما يتوافق مع القوانين الطبيعية حتى لا يتعارض الدين وخاصة نصوصه المقدسة مع العلم الحديث الذي كان قائما على الحتمية وهم يعتذرون بأن العقل الحديث ينفر من الخوارق التي تتناقض مع قوانين الطبيعة ولذلك يرون أنه من الصالح أن تؤول النصوص التي ورد فيها ذكر المعجزات بما يتوافق مع العلم وقوانين الطبيعة .

ونذكر فيما يلي بعض هذه التأويلات كأمثلة واضحة لهذا التيار الفكري:

١ – تأويل معجزة فلق البحر لموسى عليه السلام:

ذكر (رشيد رضا) أن الأستاذ الإمام أورد أثناء تفسيره لقوله تعالى :" وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (البقرة ٥٠) ، أن هناك جماعة لا يحبون المعجزات أوّلوا انفلاق البحر لموسى بأنه المدّ فقال:" وزعم الذين لا يُحبُّونَ المعجزات من الْمُتَهَوِّرِينَ أَنَّ عُبُورَ بني إِسْرَائِيلَ البحر كَانَ فِي إِبَّانِ الجَزْرِ ، فَإِنَّ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ رُقَارِقَ إِذا كانَ الجَزْرُ الَّذِي عُهِدَ هناك شديدًا يَتَيَسَّرُ للإنسان أَنْ يَعْبُرَ مَاشِيًا ، ولَمَّا أَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ورآهُم قَدْ عَبَرُوا البحر سار على أثرهم، وكان الْمَدُّ تَفِيضُ ثَوَائِبُهُ (وَهِيَ الْمِيَاهُ الَّتِي تَجِيءُ عُقَيْبَ الْجَزْرِ) فَلَمَّا نَجَا بَنُو إِسْرَائِيلَ ، كَانَ الْمَدُّ قد طغى وعلا حتى أغرق المصريين"(٢).

٢ – تأويل معجزة إحياء من مات مائة عام:

وهي التي وردت في قوله تعالى"أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ"(البقرة ٢٥٩) فقد زعم الإمام محمد عبده أن الرجل الصالح نام ولم يمت مثل أهل الكهف أي أن الله أيقظه من نومه بعد أن نام مائة عام(٣).

(١) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص ٦٠

(٢) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١،ص ٢٦٢

(٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج٣،ص ٤٢

٣ – تأويل معجزة إحياء الطيور لإبراهيم عليه السلام:

وهي التي وردت في قوله تعالى"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (البقرة ٢٦٠)

حيث يختار (محمد عبده) تفسير (أبي مسلم الأصفهاني:ت٣٢٢هـ)[١] الذي يخالف الجمهور فيرى أن إبراهيم لم يذبح الطيور وإنما فرقها حية على الجبال ثم دعاها فجاءت إليه[٢].

٤– تأويل معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل

ونجد ذلك التأويل واضحًا عند (محمد عبده) حيث أوّل معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل الذي ورد ذكره في قوله تعالى"وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(البقرة٧٢–٧٣) فذكر أن مَعْنَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى في الآية هو حِفْظُ الدِّمَاءِ الَّتِي كَانَتْ عُرْضَةً لِأَنْ تُسْفَكَ ، بِسَبَبِ الْخِلَافِ فِي قَتْلِ تِلْكَ النَّفْسِ ، أَيْ يُحْيِيهَا بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ ، وَهَذَا الْإِحْيَاءِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ – تَعَالَى – : (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (المائدة : ٣٢) وَقَوْلِهِ : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) (البقرة : ١٧٩) فَالْإِحْيَاءُ هُنَا مَعْنَاهُ الِاسْتِبْقَاءُ كَمَا هُوَ الْمَعْنَى فِي الْآيَتَيْنِ، ويرى أنه كان من عادة بني إسرائيل أن من وُجد مقتولا قُرب قرية ولم يُعرف قاتله أن يذبحوا بقرة فمن غسل يده في دمها وفعل ما رُسم له في الشريعة كان بريئًا ومن رفض كان مذنبًا[٣] ، والإمام بذلك يستبعد حدوث هذه المعجزة التي تبدو واضحة من خلال الآيات والتي ذكرها المفسرون القدماء.

---

(١) محمد بن بحر الأصفهاني معتزلي(٢٥٤ – ٣٢٢ هـ)، ولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر العباسي، من كتبه (جامع التأويل) في التفسير وهو مفقود وقد أورد الرازي كثيرًا من آرائه في تفسيره(مفاتيح الغيب)،انظر خير الدين الزركلي:الأعلام،دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م ،ج٦،،ص ٥٠

(٢) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج٣،ص ٤٧

(٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١،ص ٢٩١

٥ – تأويل معجزة رفع الجبل فوق بني إسرائيل:

والتي وردت في قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة٦٣) .

رغم أن الإمام (محمد عبده) لم يتعرض لتأويل هذه المعجزة وأقرّ بكونها آية كونية بمعنى أن الجبل انْتُزِعَ مِنَ الْأَرْضِ وَصَارَ مُعَلَّقًا فَوْقَهُمْ فِي الْهَوَاءِ إلا إن تلميذه (رشيد رضا) يرى أن الآيات الواردة لا تدل على ذلك صراحة وعلى ذلك قام بتقديم تأويل لهذه المعجزة؛ فالرفع الوارد في الآية من قبيل قوله تَعَالَى: (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) (الغاشية : ١٣) وقوله : (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) (الواقعة : ٣٤) فَكُلٌّ مِنَ السُّرُرِ وَالْفُرُشِ تَكُونُ مَرْفُوعَةً وَهِيَ عَلَى الْأَرْضِ،وعلى ذلك فالجبل حسب رأيه لم يُلعق في الهواء وإنما حدث زلزال فظن بنو إسرائيل أن الجبل سيقع عليهم وعلى ذلك يرى أن من ينكر ارتفاع الجبل في الهواء لا يكون مكذبًا للقرآن(١).

ويقدّم (محمد الطاهر بن عاشور:ت١٩٧٣م) تأويلًا قويًّا لهذه المعجزة مستندًا إلى نصوص توراتية فيرى أنه حِينَمَا تَجَلَّى اللَّهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الطُّورِ تَجَلِّيًا خَاصًّا لِلْجَبَلِ فَتَزَعْزَعَ الْجَبَلُ وَتَزَلْزَلَ وَأَحَاطَ بِهِ دُخَّانٌ وَضَبَابٌ وَرُعُودٌ وَبَرْقٌ كَمَا وَرَدَ فِي صِفَةِ ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ سِفْرِ الْخُرُوجِ وَفِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ مِنْ سِفْرِ التَّثْنِيَةِ فَلَعَلَّ الْجَبَلَ مِنْ شِدَّةِ الزلازل وَمَا ظَهَرَ حَوْلَهُ مِنَ الْأَسْحِبَةِ وَالدُّخَانِ وَالرُّعُودِ صَارَ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ، ..وَلَيْسَ فِي كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَلَعَ الطُّورَ مِنْ مَوْضِعِهِ وَرَفَعَهُ فَوْقَهُمْ وَإِنَّمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي أَخْبَارٍ ضِعَافٍ فَلِذَلِكَ لَمْ نَعْتَمِدْهُ فِي التَّفْسِيرِ(٢) .

٦ – تأويل معجزة ولادة عيسى عليه السلام بدون أب:

وقد وردت هذه المعجزة في القرآن الكريم في عدة مواضع كما في قوله تعالى:" قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران٤٧).

---

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١،ص ٢٨٤

(٢) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤،ج١،ص ٥٤١

يحاول الإمام (محمد عبده) عرض وجهين لتأويل هذه المعجزة الكبيرة بما يتقارب مع قوانين الطبيعة المعروفة، (الوجه الأول) : إِنَّ مَرْيَمَ لَمَّا بُشِّرَتْ بِأَنّ اللهَ – تَعَالَى – سَيَهَبُ لَهَا ولدًا بِمَحْضِ قُدْرَتِهِ ، انْفَعَلَ مِزَاجُهَا بهذا الاعْتِقَادِ انْفِعَالًا فَعَلَ فِي الرَّحِمِ فِعْلَ التَّلْقِيحِ ، كَمَا يَفْعَلُ الاعتقاد القوي فِي مِزَاجِ السَّلِيمِ فَيَمْرَضُ أَوْ يَمُوتُ ، وَفِي مِزَاجِ المريض فَيَبْرَأُ ، وَكَانَ نَفْخُ الرُّوحِ مُتَمِّمًا لِهَذَا التَّأْثِيرِ .

(الوجه الثاني) : يبنيه على مقدمة يؤكد فيها على أَنَّ المخلوقات قِسْمَانِ : أَجْسَامٌ كَثِيفَةٌ وَأَرْوَاحٌ لَطِيفَةٌ ، وَأَنَّ اللَّطِيفَ هُوَ الَّذِي يُحْدِثُ فِي الْكَثِيفِ الْحَيِّ مَا نَرَاهُ فِيهِ مِنَ النُّمُوِّ وَالْحَرَكَةِ وَالتَّوَالُدِ ، وهذه الأرواح اللطيفة مثل الهواء والكهرباء وغيرها من قوى الطبيعة والتي عُبِّرَ عنا في الشرع بالملائكة ، وعلى هذا فإن الله قد أرسل إلى مريم روحًا من هذه الأرواح والمقصود هنا قوة من قوى الطبيعة وليس شيئًا خارجًا عن الطبيعة حيث إن قوى الطبيعة هي نفسها الملائكة عند الإمام محمد عبده وهذه الروح أو القوة الطبيعية أو الملك بلسان الشرع تمثلت بشرًا نفخ في مريم فأحدثت النفخة التلقيح في رحمها فحملت بالمسيح، ولكن الإمام لا يجزم بأن هذه النفخة حملت مادة أم لا[1] وهنا كأنه يريد أن يقول إن ولادة المسيح جاءت بشكل طبيعي وليس فيه خرق للطبيعة.

هل هذا التأويل مقبول ؟

هنالك ذلك التيار القوي الذي يرفض هذه التأويلات ويتمسك بما ورد من معجزات الأنبياء في القرآن الكريم ويرى ضرورة الإيمان بها لكونها دلائل النبوات، ويرى في هذا التأويل تعسفًا، وإفراطًا في متابعة الفكر الغربي، كما أن بعض هذه التأويلات لا تكون مقبولة ولا تأتي وفق قانون التأويل المتعارف عليه.

فمثلًا يرفض (نديم الجسر:ت١٩٨٠م) تأويل المعجزات لتتوافق مع العلم الحديث، وعلّة هذا الرفض أنه لا يمكن لبعض المعجزات أن يكون لها التأويل المقبول؛ فمثلا لا يمكن تأويل ولادة المسيح ولا كلامه في المهد ولا قلب العصا حية لموسى عليه السلام، ولذلك يرى أن تأويل المعجزات ليوافق النواميس الطبيعية محاولة فاشلة

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج٣،ص ٢٤٥، ٢٥٥

ومفسدة لمعنى المعجزة، فالأصل هو الإيمان بأن الله خالق النواميس وهو قادر على خرقها وهذا هو سر المعجزة، وخرق المعجزة ليس من المستحيل عقلا [١] .

أما الشيخ (مصطفى صبري:ت١٩٥٤م) فيرى أن هؤلاء العصريين من علماء الدين والدنيا المتعمدين لإنكار المعجزات قد ذهبوا في تفسير القرآن وتقويم الأحاديث مذهبا يكاد يكون ملعبًا، وذلك نتيجة خضوعهم التام للعلم المادي الحديث[٢].

لقد استنكر الشيخ مصطفى هذا التأويل للمعجزات وهاجم أصحابه بشدة، وعدّهم منكرين للمعجزات، ولذلك عدّ الإمامين محمد عبده وتلميذه رشيد رضا من المنكرين للمعجزات وغير المعترفين بوجود معجزات كونية للرسول[٣] .

ويقدم (الشيخ محمد الخضر حسين:ت١٩٥٨م) ردًا على استدلالات هؤلاء المنكرين والمؤولين للمعجزات ، فقد أورد استدلالين لهم وقدّم الرد عليهما :

إحداهما: قولهم إن الله تعالى وضع هذا الكون على سنن لا تتبدل، وربط أسبابه بمسبباته ربطاً لا يتغير، وربما استشهدوا على هذا بقوله تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (الأحزاب :٦٢).

ويرد على هذا بقوله: إن الذي خلق الأسباب والمسببات، وعقد بينهما رابطة السببية والمسببية، هو الفعال لما يريد ؛ فله أن ينزع من بعض الأسباب وجه سببيتها؛ وله أن يخلق سبباً آخر يخفى عن أعين الناس، ويظهر له مثل أثر السبب المعروف في العادة؛ كأن يخلق في العصا ما يكون سبباً لانقلابها ثعباناً.

كما أن تخلف المسببات عن أسبابها الظاهرة، أو وجود المسببات مع فقدان أسبابها، هو في مرتبة الإمكان لا محالة، وإذا كان ممكناً في نفسه، وورد الخبر الصادق بوقوعه، أصبح الاعتقاد به ضربة لازب، ولم يكن لمنكره من الأدلة النظرية ولي ولا نصير.

وأما قوله تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}، فحق لا غبار عليه، لكن سنن الله منها ما عرفه الناس، ومنها ما لم يعرفوه، وإذا وقعت واقعة غريبة عند تحدي النبي

(١) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، توزيع دار العربية، الطبعة الثالثة١٣٨٩– ١٩٦٩، ص ٢٢١

(٢) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ٢٢ و٢٣

(٣) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ،ج٤،ص ١٧٢

لقومه، فهي جارية على سنة، ولكنها سنة خفية لا يعلمها البشر، ولا يستطيعون أن يأتوا بمثلها، ومن هنا كانت هذه الواقعة الغريبة علامة على أن هذا الداعي مبلغ عن الله.

والاستدلال الثاني: قولهم إن العلوم في هذا العصر كشفت عن أسرار أمور كانت تُظن من خوارق العادات، فلو بلغ العلم بصاحبه أن يأتي بأشياء هي من أمثال ما كان يعد خارقًا للعادة، لم يبق ذلك الذي صدر على وجه التحدي معجزة.

ويردّ الشيخ (الخضر حسين:١٩٥٨م): بأن من معجزات الرسل – عليهم السلام – ما لم يصل إليه العلم، ولن يصل؛ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه، ونبع الماء الحقيقي من بين أصابع الإنسان، وإذا وجد من المعجزات التي جرت على أيدي الرسل ما يمكن الوصول إلى مثله من طريق الفن؛ كما يدعى من الإخبار عن بعض الأشياء الغائبة، وكما ظهر من قطع المسافة البعيدة في وقت قريب، فإن أمثال هذه الأشياء نجدها قد صدرت عن الرسول مضمومة إلى معجزة أخرى لا يصل إليها العلم، ثم إن الفرق بين ما وقع عند التحدي، وما وقع من طريق الفن: أن الأول وقع بإذن الله من غير أن يكون للرسول فيه عمل، أما الثاني، فإنما يقع بعد اتخاذ الوسائل الفنية، هذا هو الفرق بين ما كان معجزة، وما كان أثر حركة فنية، فما يذكره الله تعالى في كتابه الحكيم من هذا النوع من المعجزات إنما هو أمر واقع بإذنه من غير أن يكون للرسول فيه أثر[١].

كذلك يرفض الشيخ (محمود شلتوت:ت١٩٦٣م) هذا النوع من التأويل للمعجزات الذي قام به (محمد عبده) وغيره، والذي لا يلتزم قانون التأويل، ثم يبين السبب وراء هذا التأويل للمعجزات، فهو يرى أن هذا التأويل جاء ردًا على المهاجمين للقرآن، ومن ذلك تأويل إحياء الموتى المنسوب لعيسى بالإحياء الروحي، والنمل في قصة سليمان على أنه قبيلة ضعيفة وغيرها[٢].

ويرى الشيخ (الشعراوي:ت١٩٩٨م) أن المعجزات التي وردت في القرآن ونسبت للرسل حقائق لاشك فيها لأن قدرة الله لا تقارن بها قدرة البشر[٣].

---

(١) محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة ، المجلد الرابع(محمد رسول الله وخاتم النبيين)، اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، الطبعة الأولى١٤٣١هـ،٢٠١٠م، ص١٩٦ –١٩٧

(٢) محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشر الأولى، دار الشروق،ط ١٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ص٤٠

(٣) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، الناشر أخبار اليوم،ص ١٢٨

المبحث الثالث:

الفكر الإسلامي الحديث ومعجزات النبي الخاتم (محمد صلى الله عليه وسلم)

نعرض الآن لموقف المفكرين المسلمين من معجزات النبي الخاتم، فنعرض لمعجزته الكبرى القرآن الكريم ونبيّن موقف المفكرين منها، ثم نحاول أن نعرف حقيقة موقفهم من المعجزات الكونية والحسية المنسوبة للنبي.

أولًا : معجزة القرآن الكريم

رأى علماء الإسلام أن القرآن الكريم معجزة لا تدانيها معجزة وهو بذلك أفضل من كل المعجزات وخاصة المعجزات الحسية ، فيرى (الباقلاني) أن الإعجاز في نظم القرآن أبلغ في بابه وأعلى من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت وقلب العصا ثعبانًا وأمثالها وذلك لاعتقاد كثير من الناس بأن تلك الآيات قد تمت بحيل ومخاريق، أما بلاغة القرآن فلا يمكن أن تعرض في إعجازها شبهة[١].

وهنا يتفق المفكرون المحدثون في القول بأن القرآن هو المعجزة الكبرى للرسول والتي لم يستدل إلا بها وكذلك قولهم بأنها معجزة عقلية تختلف عن بقية معجزات الأنبياء، فهي بذلك معجزة توافق العقل ولا تخالف قوانين الطبيعة كبقية المعجزات بل هي تستنهض العقل والفهم وتتماشي مع العلم، وهذا واضح في فكر الأستاذ الإمام (محمد عبده) من أن القرآن الكريم معجزة عقلية توافق الفهم بخلاف معجزات السابقين والتي جاءت مناسبة لأحوالهم؛ فمعجزة القرآن عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها، فهي معجزة أعجزت كل طوق أن يأتي بمثلها ، ولكنها دعت كل قدرة أن تتناول ما تشاء منها ، أما معجزة موت حي بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما ينقطع عنه العقل، ويجمد لديه الفهم ، وإنما يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضئ عقولهم بنور العلم ، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات للأمم على حسب الاستعدادات[٢].

---

(١) الباقلاني: البيان،ص ٢٦

(٢) محمد عبده:الأعمال الكاملة: الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م،ص ٢٩٨

ويتبنى (محمد رشيد رضا) هذه الفكرة ويجادل عنها حتى إنه ينقل عن أحد فلاسفة فرنسا قوله " إن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – لم يكن محتاجًا إلى عمل العجائب لمثل ما كان يحتاجها الأنبياء من جذب النفوس إلى الإيمان به فإنه كان يقرأ القرآن باسم الله في حال وَجْد وولَه روحاني ينتقل تأثيره من نفسه إلى نفوس من يسمعه فيكون ذلك جاذبًا لهم إلى الإيمان بجاذبَيْ الإذعان والوجدان إيماناً يملك على النفس أمرها حتى لا يمكنها الانسلال منه ، وإن قاست في سبيله من الأهوال ما يشيب النواصي ، ويدك الصيَّاصِي ، فأين هذا الإيمان من إيمان قوم رأوا أعجوبة لا يدركون سرها فخضعوا لصاحبها وسلموا بما يقول ، وإن لم تدرك فائدته العقول ، حتى إذا ما غاب عنهم برهة من الزمان عبدوا ما يصوغون من الأوثان"[1].

فالمعجزات الحسية في رأي الإمام (محمد عبده) وتلميذه (رشيد رضا) تجمّدُ وتعيقُ الفهم وتضر العقل الإنساني، وهذا **في رأيي** غير مقبول أن يُقال على معجزات أيّد الله بها أصفياءه من الأنبياء والرسل، فإذا أردنا أن نبيّن تفرّد القرآن الكريم في إعجازه فلا يصحّ أن نستخف بمعجزات الله الأخرى فكلها آيات لله داعية للهداية والرشاد، كما أنها مذكورة في القرآن نفسه الذي نقول إنه لا يناقض العقل ويحث على التفكر والفهم والعلم، فكيف نقول إن معجزات الأنبياء الكونية والحسية تناقض العقل وتعيق الفهم رغم أنها وردت في القرآن كآيات للأنبياء من قِبل الله سبحانه!

الفكرة المسيطرة إذن عند مدرسة (محمد عبده) هي علو القرآن الكريم وسموه على بقية المعجزات، فالقرآن هو أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، وإعجازه ليس مقصورًا على أسلوبه البديع ..، وعلى إخباره بالمغيبات المستقبلة..، بل فيما اشتمل عليه من العلوم والمعارف في تهذيب البشر وبيان مصالحهم في أمور معاشهم ومعادهم أعظم خارق لحجب العوائد، لا سيما بالنسبة لمن ظهر على يديه[2].

ويزيد الإمام (محمد متولي الشعراوي) في بيان تفرد المعجزة القرآنية عن بقية المعجزات فيبين أن القرآن له عطاء متجدد وهذا العطاء المتجدد هو استمرار لمعنى إعجاز القرآن، فالقرآن يعطي لكل جيل بقدر طاقته ويعطي للجيل القادم شيئًا جديدًا لم

(١) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص١٤،١٥

(٢) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثاني، ص٤١٨

يعطه للجيل الذي سبقه وفي هذا العصر وهو عصر العلم نجد أن القرآن ألمح إلى حقائق علمية لم تكتشف إلا في هذا العصر مما يدل على إعجاز القرآن وكونه من الله خالق الكون ، ولكنه ينبه في الوقت ذاته على ضرورة عدم ربط القرآن بالنظريات العلمية الجديدة والتي لم تثبت صحتها بشكل يقيني(١).

وإذا تركنا مدرسة (محمد عبده) وذهبنا إلى بعض من يوجه الانتقادات اللاذعة لهذه المدرسة وخاصة في موقفها من المعجزات نلاحظ أنهم يرجعون الاعتبار للمعجزات الحسية ويدافعون عن كل المعجزات، ولا يجتهدون كثيرًا في إظهار تميّز القرآن وبيان أوجه الإعجاز المتعددة فيه، فنرى مثلًا الشيخ (مصطفى صبري) يوضح أن معجزة القرآن مثل كل المعجزات في أصل الإعجاز ولكن الفضل فيها راجع لاتّحاد المعجزة مع الوحي في القرآن حين كانت سائر المعجزات منفصلة عن الوحي الذي هو المقصود الأصلي من النبوة وكانت المعجزات نفسها أمورًا مقصودة لغيرها وهو تأييد الوحي بإثبات كونه من قبل الله(٢).

ويأتي (حسن حنفي) برأي جديد نوعًا وإن كان امتدادًا لمدرسة (محمد عبده) فيرى أن القرآن ليس من جنس المعجزات، ثم يسمِّي القرآنَ إعجازًا وليس معجزة لأنه يتوافق مع العقل والطبيعة بينما المعجزة تخالفهما، وعنده أن معجزة القرآن تتمثل في جانبه التشريعي(٣).

ثانيًا : المعجزات المادية (الكونية والحسية) للنبي الخاتم

من المعروف أنه قد ورد في القرآن الكريم ما قد عدّه المسلمون معجزات للنبي كونية وحسية للنبي الخاتم؛ وذلك مثل الإسراء والمعراج وانشقاق القمر، وقتال الملائكة يوم بدر نصرةً للمسلمين، ثم هناك في كتب الحديث ذكرٌ لمعجزات عديدة ونسبتها للرسول، مثل تكثير الطعام وحنين الجزع ونبع الماء من بين أصابع النبي وغيرها الكثير.

(١) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، الناشر أخبار اليوم،ص ٨٤، وما بعدها، ص١٢٠

(٢) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ١٣٣

(٣) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ٢٠٢،١٨٢

فما هو موقف الفكر الإسلامي الحديث من هذه المعجزات التي هي خارقة لقوانين الطبيعة ؟ انقسم المفكرون إلى فريقين، فريق ينكر هذه المعجزات الكونية والحسية، وفريق يعتقد بحدوث هذه المعجزات ، وفيما يلي نتعرف رأي كل فريق وأدلته.

الفريق الأول : المنكرون لمعجزات النبي المادية (الكونية والحسية)

في الحقيقة يوجد لدينا في تراث المتكلمين منْ نُسب إليه إنكار المعجزات الكونية والحسية للنبي الخاتم، وينسب إليه أيضًا التهوين من إعجاز القرآن وهذا ما ينسب لأحد رجالات المعتزلة وهو(النظّام:ت٢٢١هـ) حيث نقل عنه الأشعري أنه قال " الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أنّ يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"(١).

وقد زاد عبد القاهر البغدادي أن (النظّام) أنكر ما روى فى معجزات نبينا من انشقاق القمر وتسبيح الحصا فى يده ونبوع الماء من بين أصابعه(٢). وفي رأي (عبدالرحمن بدوي) أن المعتزلة لم ينكروا المعجزات بشكل مطلق ولكنهم رفضوا اسغلالها في إثبات النبوة، وأمّا (النظّام) فقد رفض المعجزات الخبرية لأنها في رأيه لا تتفق مع الإسلام(٣).

وقد ظهر اتجاه في العصر الحديث ينكر هذه المعجزات، وكان المفكر والأديب (محمد حسين هيكل:ت١٩٥٦م) من أشهر من تمسك بهذا الاتجاه وظهر ذلك في كتابه الشهير (حياة محمد) وأثار عليه ضجة كبيرة ، حيث يقول: " ولم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة، على اختلاف عصورهم، برسالة محمد إلا القرآن الكريم، هذا مع أنه ذكر المعجزات التي جرت بإذن الله على أيدي منْ سبق

(١) أبوالحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين،تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ج١، الطبعة الأولى،١٣٦٩هـ،١٩٥٠م،مكتبة النهضة المصرية،ص٢٧١

(٢) عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق،تحقيق محمد عثمان الخشت،مكتبة ابن سينا، ص١٢٠،١١٩

(٣) عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ١٤١

محمدًا من الرسل، .. وما ورد في الكتاب عن النّبي العربيّ لا يخالف سنّة الكون في شيء"[١] .

إذن فهو ينكر هذه المعجزات المادية التي تُنسب لنبي الإسلام؛ وحجته في ذلك أنّ الله أراد أن تكون معجزة النبي معجزة إنسانية عقلية، وهذه المعجزة هي القرآن وهي أكبر المعجزات التي أذن الله بها، وقد أراد الله أن تثبت رسالة نبيه بالحجة البينة والدليل الدامغ، وأراد لدينه أن ينتصر بفضل منه في حياة رسوله، ليرى الناس في انتصاره قوّة سلطانه ولو أراد الله أن تكون المعجزة المادية وسيلة إلى اقتناع من نزل الإسلام على رسوله بينهم، لكانت ولذكرها في كتابه[٢] .

ويستدل بقوله تعالى:" وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا " (الإسراء :٩٠-٩٣) ، حيث يذكر أن سبب نزول هذه الآيات أنّ أهل مكة كانوا يطلبون إلى النبي أن يجري ربُّه على يديه المعجزات إذا أرادهم أن يصدقوه، فنزل القرآن يذكر ما طلبوا ويدفعه بحجج مختلفه[٣].

ثم يوضح هيكل انعدام الفائدة من هذه المعجزات المادية حيث يذكر أن المسلمين الأوائل لم يكن السبب في إيمانهم هو المعجزات المادية؛ فلم يذكر التاريخ أن المعجزات حملت أحدًا منهم على أن يؤمن؛ بل كانت حجة الله البالغة عن طريق الوحي على لسان نبيه، وكانت حياة النبيّ، في سموّها البالغ غاية السمو، هي التي دعت إلى الإيمان من آمن منهم، وإن كتب السيرة جميعا لتذكر أن طائفة من الذين آمنوا برسالة النبي قبل الإسراء قد ارتدّت بعد أن ذكر النبي أنه أُسري به، ولم يؤمن (سراقة)، رغم ما روت كتب السيرة من معجزة الله في سراقة وفي جواده، ولم يذكر التاريخ أن

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد : دار المعارف ، الطبعة الرابعة عشرة، ص٧١

(٢) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص٧٢

(٣) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص٧١

مشركًا آمن برسالة النبي لمعجزة من المعجزات، كما آمن سحرة فرعون لمّا لقفت عصا موسى ما صنعوا [١] .

ويرفض (هيكل) الاعتماد على كتب السيرة التي نَسَبتْ للرسول معجزات كثيرة، وحجته في ذلك عدم الدقة في هذه الكتب وكثرة الخلاف بينها فيما نُسب إلى النبي، فقد لاحظ الذين درسوا هذه الكتب أن ما روته من أنباء الخوارق والمعجزات ومن كثير غيرها من الأنباء، كان يزيد وينقص دون مسوّغ إلا اختلاف الأزمان التي وُضعت هذه الكتب فيها، فقديمها أقل رواية للخوارق من متأخرها، وما ورد من الخوارق في الكتب القديمة أقل بُعْدًا عن مقتضى العقل مما ورد في كتب المتأخرين، وهذه سيرة ابن هشام أقدم السير المعروفة اليوم تغافل كثيرا مما ذكره أبو الفداء في تاريخه، ومما ذكره القاضي عياض في كتاب الشفاء، ومما ذُكر في كتب المتأخرين جميعا[٢].

ويعلل (هيكل) كثرة الروايات عن المعجزات في العصور المتأخرة بأنها كانت رغبة في زيادة الإيمان فقد حسبوا أن ذكر هذه المعجزات ينفع ولا يضرّ، ولكن يوضح أن ما حدث هو عكس المقصود وخاصة في عصرنا ؛ حيث اتخذ خصوم الإسلام ما ذكروه منها حجة على الإسلام، كما أن هذه الروايات أصبحت تزيغ قلوبًا [٣].

ويوجه (هيكل) أصابع الاتهام إلى الاستعمار الغربي، حيث كشف عن دور الاستعمار في تأييد ما دُسَّ على الإسلام ، وعلى سيرة الرسول من خرافات لا يسيغها العقل ولا يقبلها الذوق، وعلى تأييد الطاعنين على الإسلام وعلى رسوله بما دُسَّ على الإسلام وعلى سيرة الرسول[٤].

ويتبنى هذا الاتجاه المنكر للمعجزات المادية للرسول في الوقت المعاصر(جورج طرابيشي) في كتابه (المعجزة أو سُبات العقل في الإسلام) حيث يرى أن النبي لم يكن له معجزة مثل بقية الأنبياء وهذا في رأيه ما جعل الشك يتزايد في

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص٧٣

(٢) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص٦٤

(٣) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص ٧٠

(٤) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص٣٦

رسالته عند العرب[١] ، وحجته أن روايات السيرة وعشرات الآيات القرآنية يُستخلص منها أنه ليس للنبي سند من المعجزات سوى القرآن[٢]، ويرى أنه رغم ذلك فهناك الكثير من المعجزات التي نُسبت للنبي وهي عند (ابن هشام:ت٢١٣هـ) عشر معجزات ثم جعلها (الماوردي:ت٤٥٠هـ) في أعلام النبوة قرابة الأربعين معجزة وبلغت عند (القاضي عياض:٥٤٤هـ) قرابة المائة والعشرين معجزة، وزعم البعض أن له ثلاثة آلاف معجزة[٣].

وينكر الدكتور(حسن حنفي) أن تكون للنبي معجزة غير القرآن؛ وحجته أن المعجزة ليست ذات جدوى خاصة لخاتم الأنبياء لأن هذه المرحلة هي مرحلة اكتمال الوحي واستقلال العقل والاعتماد على المعجزات الخارقة للطبيعة يعد ارتدادًا إلى الوراء حيث ضعف العقل الإنساني ولذلك كانت المعجزة مستحيلة عقلا[٤].

كل هذا يوضح قوة الاتجاه الذي ينكر معجزات الرسول الخبرية ولا يعترف بغير القرآن سيرًا مع الاتجاه التجريبي الحديث الذي يتمسك بالحتمية ويرى القول بالمعجزات مخالفًا للعقل ومناقضًا للعلم ومضادًا لقوانين الطبيعة الحتمية والصارمة التي تحكم عالمنا؛ الذي هو في نظر المحدثين آلة كبيرة مترابطة ولا يدخل في عملها أي عامل خارجي.

تأويل معجزات الرسول المادية(الكونية والحسية):

قدّم هولاء المنكرون لمعجزات الرسول المادية تأويلات لها ، ذلك لأن بعضها ذُكر صراحة في القرآن الكريم فلم يكن بدٌّ من تأويلها لتناسب القوانين الطبيعية وأعرض فيما يلي بعض هذه التأويلات:

١ – تأويل معجزة الإسراء والمعراج ، وقد ورد ذكر هذه المعجزة الشهيرة في سورتي الإسراء والنجم ، وقد اجتهد (محمد حسين هيكل) في التدليل على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط ؛ بمعنى أن النبي لقوة روحه انجمعت له الحياة

(١) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، دار الساقي، الطبعة الأولى،٢٠٠٨ ،ص ١٧

(٢) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ،ص ٣٢

(٣) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ،ص ٧٦

(٤) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ١٦٢ومابعدها

الروحية في الكون كله من الأزل إلى الأبد فاطّلع عليها واطّلع على ما في السموات وما في الأرض، وهو يرى أن الإسراء بالروح وبهذا المعنى لا يتناقض مع ما كشفه العلم الحديث من انتقال الأصوات والصور والمكتوبات عبر الأثير(١).

٢ – تأويل معجزة انشقاق القمر

وقد وردت في قوله تعالى:" اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"(القمر:١) ذكر (ابن كثير) أن القمر انشق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك ثابت في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وأن هذا أمر متفق عليه بين العلماء وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات(٢).

ورغم أن (الطاهر بن عاشور) ينقل رأي الجمهور في أن انشقاق القمر هو من المعجزات الكبرى للرسول وينقل أيضًا الأحاديث الصحيحة التي تؤكد حدوث معجزة انشقاق القمر، إلا إننا نجده يقدم تأويلات عدة لهذه المعجزة، وهو من خلال هذا التأويل يريد أن يدلل على أن القمر لم ينشق نصفين كما قال به المفسرون .

أول هذه التأويلات عند (ابن عاشور) أنه يجوز أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوة لاحت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين بينهما سواد حتى يخيل أنه منشق إلى قمرين ، فالتعبير عنه بالانشقاق مطابق للواقع لأن الهوة انشقاق وموافق لمرأى الناس لأنهم رأوه كأنه مشقوق .

والتأويل الثاني أنه يجوز أن يكون قد حصل في الأفق بين سمت القمر وسمت الشمس مرور جسم سماوي من نحو بعض المذنبات حجب ضوء الشمس عن وجه القمر بمقدار ظل ذلك الجسم على نحو ما يسمى بالخسوف الجُزئيّ ، وليس في لفظ أحاديث أنس بن مالك عند مسلم والترمذي ، وابن مسعود وابن عباس عند البخاري ما يناكد هذا .

والتأويل الثالث أنه من الممكن أن يكون هذا الانشقاق حدثاً مركباً من خسوف نصفي في القمر على عادة الخسوف فحجب نصف القمر ، والقمر على سمت أحد

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص٢٠٧-٢٠٩

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م،ج٧،ص ٤٧٢

الجبلين وقد حصل في الجو ساعتئذ سحاب مائي انعكس في بريق مائه صورة القمر مخسُوفاً بحيث يخاله الناظر نصفاً آخر من القمر دون كسوف طالعاً على جهة ذلك الجبل ، وهذا من غرائب حوادث الجوّ . وقد عُرفت حوادث من هذا القبيل بالنسبة لِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ، ويجوز أن يحدث مثلها بالنسبة لضوء القمر على أنه نادر جدًا.

ونتيجة لهذه التأويلات يرى (ابن عاشور) أن إطلاق الانشقاق على حدوث هوة في سطح القمر إطلاق حقيقي، وإطلاقه على انطماس بعض ضوئه استعارة ، وإطلاقه على تفرُّقِه نصفين مجاز مرسل[١].

٣- تأويل معجزة قتال الملائكة يوم بدر

يعتقد الجمهور أن الملائكة نزلت وقاتلت مع المسلمين يوم بدر، قال الإمام القرطبي "تظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت" [٢] وقال (ابن عاشور):" وقد ثبت أنّ الملائكة نزلوا يوم بدر لنصرة المؤمنين ، وشاهد بعض الصّحابة طائفة منهم ، وبعضهم شهد آثار قتلهم رجالاً من المشركين"[٣]،وقد استدلوا بما ورد في القرآن(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ"(الأنفال ٩).

وقد ذكر (الزمخشري:ت٥٣٨هـ) أن هناك من قال إن الملائكة لم تقاتل يوم بدر وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبّتون المؤمنين ، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم، فإنّ جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط ، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة[٤]. وهذا الرأي هو ما تبناه الإمام (محمد

(١) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤،ج٧،ص ١٦٧– ١٧٠

(٢) أبو عبدالله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المحقق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م،ج٤، ص١٩٢،ابن كثير ، تفسير القرآن،ج٤،ص ٢٠ ،٢١

(٣) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،ج٤،ص ٧٣

(٤) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق : عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي – بيروت،ج٢،ص ١٩١

عبده) فيقول"لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَصٌّ نَاطِقٌ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَاتَلَتْ بِالْفِعْلِ"[١] ويفسر المدد بالملائكة الوارد في الآية بأنه كان بمعنى تثبيت القلوب وتقوية العزائم[٢] .

٤ – تأويل معجزة هلاك أبرهة وجيشه بالطير الأبابيل

والتي وردت في سورة الفيل وتعد إرهاصًا لبعثة النبي، وفيها " وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ "(الفيل:٣–٥) .

أوّل (هيكل) هذه المعجزة الصريحة فجعل هلاك أبرهة وجيشة بسبب مرض الجدري الذي تفشى في الجيش وقال ربما جاء هذا المرض من البحر الأحمر[٣].

٥ – معجزة حفظ النبي من سراقة بن مالك

وهي مما رواه البخاري ومسلم" عَنْ أَبِي إِسْحقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، إِلَى الْمَدِينَةِ، تَبِعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ قَالَ: ادْعُ اللهَ لِي وَلاَ أَضُرُّكَ، فَدَعَا لَهُ "[٤].

وقد عرض (هيكل) قصة سراقة وجعل فرسه قد أنهك وكبا أكثر من مرة من شدة التعب فحسب سراقة أن الآلهة لا ترضى فعله فلم يقدم على إيذاء النبي[٥].

وهكذا قدم الرافضون للمعجزات المادية تأويلات لما ثبت منها في القرآن أو الحديث ويبدو أن هذه التأويلات فيها تعسف كبير، ورأيي أنه إن صحّ حدوث هذه المعجزات فلا مجال لتأويلها فالواجب هو البحث في سندها والتحقق من ذلك فإن ثبتت فيجب التسليم بها لموافقتها الأصل من أن الأنبياء تحدث لهم المعجزات ،

الفريق الثاني: المثبتون لمعجزات الرسول المادية (الكونية والحسية)

أكد الأشاعرة على وجود معجزات مادية للرسول؛ فهذا (الباقلاني) يذكر معجزات كونية وحسية، كانشقاق القمر، واستنزال المطر، وإزالة الضرر من

(١) تفسير المنار،ج٤،ص ٩٣

(٢) تفسير المنار،ج٤،ص ٩٤

(٣) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص١١٩ –١٢٠

(٤) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر، بيروت، ص٦٤٠

(٥) محمد حسين هيكل : حياة محمد، ص٢٢٧

الأمراض، ونبع الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في يده، ونطق البهائم، إلى غير ذلك من المعجزات والآيات الخارقة للعادة[١]. وكذلك أقرّت المعتزلة بهذه المعجزات ؛ فدافع (القاضي عبد الجبار) عن هذه المعجزات وغيرها وأفرد لذلك كتاب(تثبيت دلائل النبوة) أورد فيه كثيرًا من هذه المعجزات موضحًا صدق حدوثها وقوة دلالتها على النبوة، وهذا ما فعله أيضا في موسوعته (المغني) حيث قدم الحجج القوية على أن هذه المعجزات من دلائل وأعلام النبوة الصحيحة[٢]، والاتجاه السلفي هو أقوى الاتجاهات إيمانا وتمسكا ودفاعًا عن هذه المعجزات ، وقد زعم (ابن تيمية:ت٧٢٨هـ) أن الله جمع للرسول جميع أنواع المعجزات والخوارق[٣].

واستمر الاتجاه السلفي في الدفاع عن معجزات النبي وخاصة ما ورد في القرآن وكان الشيخ (مصطفى صبري) _حديثًا_ من المنشغلين بالرد على الاتجاه الرافض والمؤوّل لهذه المعجزات، ومؤكدًا على حدوث المعجزات الكونية للرسول كانشقاق القمر والإسراء والمدد بالملائكة في بدر[٤].

وحديثًا يذكر (رفاعة الطهطاوي:ت١٨٧٣م) أن المعجزات المادية للرسول ثابتة وهي التي وردت في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ؛ وعند (الطهطاوي) أن النبي قد جمع له الله كل معجزات الأنبياء السابقين ، ويذكر أن من أمهات معجزاته انشقاق القمر الذي أجمع أهل السنة والمفسون على حدوثه ، ويذكر معجزات يوم الهجرة مثل نسيج العنكبوت وتعشيش الحمامين وما حدث لفرس سراقة بن مالك وشاة أم معبد ، وأيضا معجزات شفائه لبعض أصحابه ، وكذلك استجابة دعائه، وحنين الجذع وتسبيح الحصى في كفه، وتكثير الطعام، وإخباره بالغيوب[٥].

---

(١) الباقلاني: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به،تحقيق محمد زاهد الكوثري،المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية١٤٢١هـ،٢٠٠٠م،ص٦٠

(٢) القاضي عبدالجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦ إعجاز القرآن، تحقيق محمود محمد قاسم ، ص٤٠٧ومابعدها، وتثبيت دلائل النبوة،دار المصطفى ،شبرا،القاهرة

(٣) ابن تيمية:مجموع الفتاوى، ،ج١١، ص٣١٥

(٤) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ،ج٤،ص ١٧٠

(٥) رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة،الجزء الرابع، سيرة الرسول وتأسيس الدولة الإسلامية، تحقيق د/ محمد عمارة، دار الشروق، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة،٢٠١٠/٢٠١١ ، ص ٤١٩-٤٢٩

ولكن (الطهطاوي) يرفض معجزات نسبها بعض القصاص والعوام للرسول ولا أصل لها ومن ذلك قولهم إن القمر دخل في جيبه وخرج من كمه، وكذلك ما يذكره العوام من أن الورد مخلوق من عرقه، وكذلك ما قالوه من تأثير قدمه في الصخر[١] .

والشيخ (رشيد رضا) لا ينكر معجزات النبي المادية فيرى أنه قد ثبت للرسول معجزات حسية كثيرة، ولكنه في رأيه لم يعتمدها الرسول في الدعوة، وذكر من هذه المعجزات انشقاق القمر، ونبع الماء من أصابعه، والإخبار بالغيوب، وحنين الجذع[٢]، وكذلك يرى (محمد فريد وجدي) أن النبي حدثت على يديه خوارق ومعجزات حسية كثيرة غير القرآن لكنه لم يتخذها أساسًا للدعوة للإيمان[٣]،ويرى د/جمال نصار أن الخوارق صاحبت النبي في حله وترحاله وفي كل مكان وزمان ولكن لم تسم معجزات لأنه لم يتحد بها[٤] ، وربما هذا يفهم أيضا من قول (ابن خلدون:ت٨٠٨هـ)" والمعتمد القرآن وغيره تكملة"[٥].

إذن فرغم اعتراف هؤلاء بالمعجزات الحسية للرسول إلا إنهم يقولون إن النبي لم يحتج بها على نبوته ، من أجل هذا أكثر مفكرونا في العصر الحديث من أن نبينا لم يستدل بالمعجزات الحسية مراعاة للعقل البشري ورفضًا لمخالفة القوانين الطبيعية، فهذا (محمد رشيد رضا) في كتابه (الوحي المحمدي) يتبنى هذه الفكرة فيؤكد على أن ما رواه المحَدّثون من الآيات الكونية التى أكرم الله تعالى بها رسوله محمدًا ورغم أنها أكثر من كلّ ما رواه الإنجيليون وأبعد عن التأويل، ولكنه لم يجعلها برهانا على صحة الدين، ولا أمر بتلقينها للناس، ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل فى ثبوتها وفى موضوعها؛ لأن البشر قد بدءوا يدخلون بها فى سن الرشد والاستقلال النوعى الذى لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم

(١) رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة،الجزء الرابع، ، ص ٤٣٠

(٢) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص٦٨

(٣) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، المجلد السادس ،ص ٢٠١

(٤) د/جمال نصار حسين: الشريعة والمعجزة رؤية معاصرة، بحث في مجلة التربية قطر،سبتمبر٢٠٠٤، رقم العدد١٥٠، ص٢٣١

(٥)ابن خلدون: لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق د.عباس محمد حسن، دار المعرفة الجامعية ،١٩٩٦م، ص١٧٧

أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف فى سنن الكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم العقلى مع هذا الخضوع، بل هو من موانعه[١].

ويعلل (رشيد رضا) حدوث تلك المعجزات الحسية والكونية للنبي، فهي لم تكن لإقامة الحجة على نبوته ورسالته، بل كانت من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه فى الشدائد، كنصرهم على المعتدين من الكفار الذين يفوقونهم عددًا وعتادًا، مثلما حدث في غزوة بدر والأحزاب، ومن تلك الآيات: شفاء المرضى، وإبصار الأعمى، وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل فى غزوة الأحزاب وفى غزوة تبوك، كما وقع للمسيح عليه السلام[٢]، وجملة القول: أن نبوة محمّد **صلّى الله عليه وسلم** قد ثبتت بنفسها، أى بالبرهان العلمى والعقلى الذى لا ريب فيه، لا بالآيات والعجائب الكونية، وإن هذا البرهان قائم ماثل للعقول والحواس فى كل زمان[٣] .

قدم هؤلاء دفاعًا عن هذه المعجزات المادية للرسول ، وحجتهم أنّ هذه المعجزات وردت في الأحاديث الصحيحة والثابتة، ثم إن هذه المعجزات ليست من المحالات عقلًا، فهذا شيخ الأزهر (عبد الحليم محمود: ت١٩٧٨م) ألّف كتابًا حول معجزات النبي بعنوان (دلائل النبوة ومعجزات الرسول) وقال فيه" ونؤمن أيضا بمعجزات محمد صلى الله عليه وسلم إذا وردت عن طريق صحيح نؤمن بها على تنوعها واختلافها ما دامت قد وردت في القرآن الكريم أو في صحاح الأحاديث"[٤]، وهي في رأيه لا تناقض العقل[٥].

وحاولوا كذلك إثبات أن هذه المعجزات تتوافق مع العلم الحديث، فنحن نرى (محمد فريد وجدي) يبيّن أن الإسراء كان بالروح والجسد وأن هذا لا يتنافى مع ما

(١) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١١٢

(٢) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١١٣

(٣) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١١٥

(٤) عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ومعجزات الرسول، دار الكتاب المصري– القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت الطبعة الأولى،١٤١٤هـ،١٩٩١م ص ٢٠٩

(٥) عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ومعجزات الرسول،ص ٢١٥

وصل إليه العلم الحديث لأن انتقال الإنسان من مكان إلى مكان بواسطة القوة الروحية أثبته العلم الحديث وعلى ذلك فإن إيماننا بإسراء النبي لا يعارض العلم الحديث(١).

إذن فقد ذهب البعض لمحاولة إثبات أن هذه المعجزات المادية تتوافق مع القوانين الطبيعية أو لا تتناقض مع ما كشفه العلم ، ولكن ليس كل المعجزات يمكننا أن نقول إن العلم يقبلها أو يمكن تخريجها وفق ما كشفه العلم، فمثلًا كيف يمكن أن يكون إنشقاق القمر موافقًا للعلم إلا على رأي من يرى أنه كان كسوفًا وحينئذ يخرج عن كونه إنشقاقًا حقيقيًا. كذلك نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك لا يمكن حتى الآن أن يكون ممكنًا علميًا، وعلى هذا فإن محاولة المدافعين عن المعجزات الحسية إثبات موافقتها للعلم التجريبي محاولة في رأيي غير ناجحة.

والحق فإن هذه المحاولات التي تحاول إيجاد توافق بين المعجزات والعلم محاولة لا أساس لها من العلم أو الدين، لأن كون الشيء معجزة يعني أنه لا يمكن فهمه حسب القوانين العلمية وإلا لو أنه خضع للعلم وقوانينه وصار مفهومًا ومقبولا علميًا لسقط عن كونه معجزة ، وبذلك فإن كل ما قاله هؤلاء هو تكلّف غير مفيد وغير مقنع ، ولا بد أن ندرك أن فاعل المعجزة هو الله وحده وهو الذي يدرك سرها .

ويقدّم هؤلاء ردودًا على استدلالات المنكرين لهذه المعجزات.

١ – الرد على استدلال المنكرين بقوله تعالى: "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ"(الإسراء: ٥٩).

ويرد عليهم شيخ الأزهر (محمد الخضر حسين) بأنه ليس في هذه الآية ما يثير إشكالاً؛ فإن كفار قريش كانوا يقترحون على النبي – صلى الله عليه وسلم – آيات يصفونها، وإنما يقترحونها على وجه التعنت؛ مثل: الآيات التي حكاها الله عنهم في قوله تعالى: "وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا"

(١) محمد فريد وجدي: الإسلام في عصر العلم، ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ،ص ٣٢٠

(الإسراء: ٩٠ – ٩٣). وذكر تعالى في جوابهم: أنه لا يرسل هذه الآيات التي اقترحوها تعنتاً؛ حيث علم أنهم سيلاقونها بالتكذيب، ودل على هذا: بأن قوماً يماثلونهم في طبائعهم النفسية كذبوا بمثل هذه الآيات(١).

ويرد أيضًا الشيخ (عبدالحليم محمود:ت١٩٧٨م) على من استدل بقوله تعالى "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ"(الإسراء: ٥٩) بأن الله لم يُجب قريشًا إلى ما طلبوه من معجزات لأنه من سنته سبحانه تدمير الأقوام الذين يكذبون بالمعجزات التي يطلبونها فلو أجاب قريش لما طلبوه ثم كذبوا كعادتهم وكعادة الأقوام قبلهم لأهلكهم ولكن شاء الله أن يبقيهم فآمنوا بعد ذلك وخرج منهم من ينشر الإسلام كخالد وغيره(٢).

٢ – الرد على استدلال المنكرين بقوله تعالى: "وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(العنكبوت: ٥٠ – ٥١) .

وهذه الآية وأمثالها استشهد بها (تيودور نلدكه:ت١٩٣٠م) حيث يرى أن النبي رفض اجتراح المعجزات صراحة في مواضع كثيرة في القرآن معلنًا أنه نذير وبشير فقط لذا رأى أن معجزة الإسراء والمعراج كانت منامًا رآه النبي(٣).

فهذه الآية كما يوضح الشيخ (محمد الخضر حسين) لا دلالة فيها على مزاعم منكري المعجزات المادية للرسول؛ لأن الآية مرادها أنه لما سأل المشركون آية من رسول الله تعنتًا أخبرهم الله أن الآيات بيد الله فقط وحده ويحدثها وفق حكمته وقد أراهم الله آيات كافية وأعظمها القرآن فلو صدَقوا في أنهم يطلبون الآيات ليؤمنوا لكان القرآن كافيًا لذلك(٤).

(١) محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة، المجلد الرابع(محمد رسول الله)،ص١٩٨ ومابعدها

(٢) عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ومعجزات الرسول ،ص ٢١٠ ،٢١١

(٣) تيودور نولدكه: تاريخ القرآن،نقله للعربية جورج تامر وآخرون، دار نشر جورج ألمز،٢٠٠٠م،الطبعة الثانية،ج١ ،ص ١٢٠

(٤) محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة، المجلد الرابع(محمد رسول الله)،ص١٩٩

ويرى الشيخ (مصطفى صبري) أن هذه الآيات لا تمنع وجود معجزات حسية للنبي وأن هذه الآيات وأمثالها قصد بها بيان أن أمر المعجزات بيد الله وحده فضلا عن أن طالبي المعجزات كانوا مكابرين معاندين يعلم الله أنهم لن ينتفعوا بها[١] .

٣ – الرد على استدال منكري المعجزات المادية للرسول بقوله تعالى "فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا" (فاطر:٤٣) .

أوضح الشيخ (مصطفى صبري) أن المراد بسنة الله في هذه الآية : عذاب الله الذي يقع على الأقوام الذين كذبوا الرسل بعد أن ظهرت لهم المعجزات البينات[٢] والدليل على ذلك الآيات التي قبلها وهي قوله تعالى:" وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا* اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا" (فاطر٤٢-٤٣)

وكلام الشيخ مصطفى واضح الصحة إذ سياق الآيات دالٌ على أن المراد بسنة الله عذاب الله الذي يلحق بالمعاندين الجاحدين .

تعقيب :

رأينا كيف مثلت المعجزة جدلًا في الفكر الإسلامي الحديث وكيف أثرّ الفكر الغربي الحديث في رؤيته تجاه المعجزة ، حيث سعى كثير من المفكرين إلى متابعة الأفكار الحديثة كالعقلانية والمادية والحتمية، والتي كان من نتائجها أن أمست المعجزات غير مقبولة ولا مكان لها وتمثُّل حرجًا لدى هؤلاء المتابعين للأفكار الغربية ، فأضحت المعجزات بين الإنكار الخالص والتأويل المتعسف. ولكن الغرض لهؤلاء المفكرين كان صالحًا فقد أردوا إظهار الإسلام موافقًا للعلم الحديث، وخافوا من اتهامه بمجافاة العقل ومخالفة السنن الكونية، وكذلك أرادوا أن يكون الإسلام مقبولًا لدى الغربيين وكذلك المتشبعين بالثقافة الغربية وهم الطبقة الراقية والمثقفة في مجتمعنا، وعلى ذلك لا يصحُّ أن نقابل اجتهاد هؤلاء المفكرين بالتشكيك في نواياهم أو

(١) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ١٨٥ومابعدها

(٢) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ١١٧

بالاستهزاء أو بالتكفير أو غير ذلك، بل يجب أن نلتمس لهم العذر ونشكر لهم جهدهم واجتهادهم.

أما عن المعجزات فالحق فيها عندي أن ما ثبت بنص قطعي صحيح وصريح فلابد من التسليم به؛ فالله سبحانه قادر على كل شيء والمعجزات داخلة في قدرته لاسيما وهي ليست من المحال عقلًا، وأما عن جدلهم في هل المعجزات تحدث وفق سنن كونية خفية أو هي تحدث مخالفة للسنن الكونية؟ فأرى أن هذا لا يمكن الجزم فيه برأي لأننا لا نعرف سر المعجزة وإن كان الظاهر أنها تخالف السنن الكونية المعروفة.

ويمكننا أن نقول مع (جورج طرابيشي) إن نقد أدبيات المعجزة في الإسلام لا يمس جوهره التأسيسي كما هو الحال في المسيحية وبالتالي فسيكون هذا النقد في صالحه على الأخص لصالح العقلانية التي هو بأمس الحاجة إلى أن يعيد التفكير بموروثه على أساسها [١].

فلا بد إذن من تمحيص الروايات التي نسبت المعجزات للرسول ولا ينبغي التهاون في قبولها دونما تثبُّتْ لأن الكثير منها لم يصحّ وكيف لنا أن نقبل قول القائل إن الرسول كانت له ألف معجزة!

إن سعي البعض للدفاع عن المعجزة أدى بهم إلى ما يعدّه الكثيرون خطأً جسيمًا وهو إنكار السببية وهذ ما أشار إليه (إقبال:ت١٩٣٨م) وأوضح كيف أن الأشاعرة أنكروا قانون السببية ليثبتوا المعجزات وأن الغزالي كان أفضل منْ مثّل هذا الموقف[٢].

وأشارت الدكتورة (يمنى الخولي) إلى خطورة هذه النظرة القديمة لعلماء الكلام المسلمين خاصة لدى الأشاعرة على العقل والعلم ، لأنهم من أجل الإبقاء على فكرة المعجزات أنكروا السببية والترابط الحتمي في الطبيعة ، وهذا ما جعل (يمنى الخولي)

(١) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ،ص ١٧٩

(٢) محمد إقبال: تطور الفكر الفلسفي في إيران،ترجمة حسن الشافعي، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط١٤٠٩،١هـ،١٩٨٩م،ص ٦٢

تدعو لقطيعة معرفية مع التراث الكلامي فيما يخص الطبيعيات لخطورة مقولاتهم وضررها على مستقبل العلم في بلادنا[١].

ولكننا نقول معها أيضًا إن الحتمية قد تراجعت كما ثبت بعد اكتشاف قوانين الديناميكا الحرارية والنظرية الحركية للغازات والسوائل والتي ظهر معها عجز الحتمية المادية[٢].

وعلى ذلك لا يصح رفض المعجزات الثابتة تمسكًا بالحتمية المادية ، ولا يصح كذلك التشكيك في العقائد الدينية الثابتة لمجرد الاعتماد على نظرية علمية ذلك لأن العلم كثيرًا ما يتأثر بالعوامل الاجتماعية التي توجه النظريات العلمية اتجاهات بعينها وبذلك يصبح العلم ظاهرة إنسانية ليست يقينية ترتبط غالبًا بتوجهات الإنسان[٣]

(١) د. يمنى طريف الخولي : الطبيعيات في علم الكلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع،ص ٨٢-٨٥

(٢) د. يمنى طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين، ضمن سلسلة عالم المعرفة، عدد ديسمبر ٢٠٠٠م،رقم العدد٢٦٤، ص ١١٠ ومابعدها

(٣) د. يمنى طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين ص ٤٢٥، ٤٤٠

الخاتمة

في ختام هذا البحث نستطيع أن نقول إننا توصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي :

١ – تبيّن أن المعجزة أمر خارق للقوانين الطبيعية وهو ما لا يقدر عليه إلا الله ولا تحدث إلا للأنبياء .

٢ – اتضح أنه لا يصح إنكار السببية توصّلًا إلى إثبات إمكانية المعجزة ، ولا يصح كذلك إنكار المعجزة تمسكًا بالسببية والحتمية .

٣ – ثبُتَ تأثر بعض المفكرين المسلمين بأفكار غربية أثرت في رؤيتهم تجاه المعجزة ومن هذه الأفكار : العقلانية والحتمية المادية وقانون الحالات الثلاثة .

٤ – تحرّج بعض المفكرين من الحديث عن المعجزات ورأوا أن الحديث عن المعجزات ينفّر الكثيرين عن الدين .

٥ – اتضح خطأ المفكرين في الربط بين المعجزات الحسية وضعف العقل البشري .

٦ – قدّم بعض المفكرين تأويلات لمعجزات الأنبياء لجعلها متوافقة مع القوانين الطبيعية ، ولكن جاء الكثير منها متعسفًا وغير مقبول .

٧ – ظهر إنكار المعجزات المادية للرسول **صلى الله عليه وسلم** عند بعض المفكرين الذين لم يعترفوا بغير القرآن معجزة له ، وكان غرضهم من ذلك إظهار الإسلام متوافقًا مع الفكر الحديث .

٨ – أصرّ الاتجاه السلفي واستمرّ على إثبات جميع المعجزات المنسوبة للرسول ودفع حجج المنكرين بأدلة مقنعة .

٩ – ثبُتَ أن النظريات العلمية غير يقينية وبالتالي فلا يصح عرض العقائد الدينية عليها ، لأن العقائد الدينية ثابتة وموثوقة بينما النظريات العلمية متغيرة وغير يقينية .

مراجع البحث

١) إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة،١٩٧٦

٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن محمد قاسم،الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م،ج١١

٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى١٤١٤هـ، تحقيق د/علي حسن وآخرون،ج٥

٤) ابن حزم : المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار ، ج١

٥) ابن خلدون : لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق د.عباس محمد حسن، دار المعرفة الجامعية ،١٩٩٦م

٦) ابن رشد: تهافت التهافت،تحقيق د/ سليمان دنيا،دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م،القسم الثاني ،ص ٧٧٣

٧) ابن رشد : مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق د/محمود قاسم،الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٦٤م

٨) ابن سينا : الإشارات والتنبيهات،تحقيق د/ سليمان دنيا،دار المعارف بمصر، ١٩٦٨، الطبعة الثانية،القسم الرابع، التصوف

٩) ابن سينا : كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، نقحه وقدم له د/ماجد فخري، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

١٠) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ،١٩٧٩م

١١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م،ج٧

١٢) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبيروآخرون، دار المعارف، المجلد الرابع، ج٣١

١٣) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش،ومحمد المصري،مؤسسة الرسالة،بيروت،١٤١٩هـ، ١٩٩٨ م

١٤)أبو الحسين الخياط: الرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق دكتور نيبرج، نشر :مكتبة الدار العربية للكتاب–القاهرة،نشر:أوراق شرقية – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م

١٥)أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال، تقديم وتحقيق محمود بيجو،الطبعة الثانية، الناشر دار التقوى، ودار الفتح

١٦)أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر،الطبعة السادسة

١٧)أبوالحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين،تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ج١، الطبعة الأولى،١٣٦٩هـ،١٩٥٠م،مكتبة النهضة المصرية

١٨)أحمد أمين : ظهر الإسلام،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

١٩)إسبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م،دار التنوير، بيروت

٢٠) الباقلاني : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به،تحقيق محمد زاهد الكوثري،المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية١٤٢١هـ،٢٠٠٠م

٢١)الباقلاني : كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، المكتبة الشرقية، بيروت، صححه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، ١٩٥٨م

٢٢) تيودور نولدكه : تاريخ القرآن،نقله للعربية جورج تامر وآخرون، دار نشر جورج ألمز،٢٠٠٠م،الطبعة الثانية،ج١

٢٣)الجرجاني : التعريفات، دار الكتاب العربي بيروت، تحقيق إبراهيم الإبياري، ١٤٠٥هـ

٢٤) جمال نصار حسين : الشريعة والمعجزة رؤية معاصرة، بحث في مجلة التربية قطر،سبتمبر٢٠٠٤، رقم العدد١٥٠

٢٥) جورج طرابيشي : المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، دار الساقي، الطبعة الأولى،٢٠٠٨

٢٦)جون هرمان راندال : تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ترجمة د. جورج طعمة،دار الثقافة بيروت

٢٧)الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة،١٤٠٧هـ،١٩٨٧م، ج٣
٢٨)حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي،المجلد الرابع من النبوة إلى المعاد
٢٩)خير الدين الزركلي : الأعلام،دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م ،ج٦
٣٠)ديفيد هيوم : مبحث في الفاهمة البشرية ، ترجمة د.موسى وهبة، دار الفارابي،بيروت لبنان، الطبعة الأولى،٢٠٠٨ م
٣١) رفاعة رافع الطهطاوي : الأعمال الكاملة،الجزء الرابع، سيرة الرسول وتأسيس الدولة الإسلامية، تحقيق د/ محمد عمارة، دار الشروق، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة،٢٠١٠/٢٠١١ م
٣٢)رون هاليبر : العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار، الجهود الفلسفية عند محمد أركون، ترجمة جمال شحيد، ط١، ٢٠٠١م، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا
٣٣)الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي – بيروت،ج٢
٣٤)سعد الدين التفتازاني : شرح العقائد النسفية، مكتبة النشري للطباعة والنشر، كراتشي باكستان،١٤٣٠هـ
٣٥)سيد حسين العفاني : أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ج٢، دار ماجد عيري للنشر والتوزيع، ط١ ١٤٢٤هـ،٢٠٠٤م
٣٦)سيف الدين الآمدي : غاية المرام في علم الكلام ، تحقيق حسن محمود عبداللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٣٩١هـ
٣٧)الشيخ نديم الجسر : قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، توزيع دار العربية، الطبعة الثالثة١٣٨٩- ١٩٦٩
٣٨)عباس محمود العقاد : المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد الأول، توحيد وأنبياء، دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م
٣٩)عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام،سينا للنشر،الطبعة الثانية،١٩٩٣م ، هامش ص١٢٤

٤٠)عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد عثمان الخشت،مكتبة ابن سينا
٤١) عبدالحليم محمود : دلائل النبوة ومعجزات الرسول، دار الكتاب المصري– القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت الطبعة الأولى،١٤١٤هـ،١٩٩١م
٤٢)عضد الدين الإيجي : المواقف في علم الكلام،عالم الكتب – بيروت
٤٣)فخر الدين الرازي : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، مكتبة الكليات الأزهرية
٤٤)القاضي عبد الجبار : المختصر في أصول الدين، ضمن كتاب رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة،دار الشروق،الطبعة الثانية١٤٠٨هـ،١٩٨٨م
٤٥)القاضي عبدالجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٥ التنبؤات والمعجزات، تحقيق محمود محمد قاسم
٤٦) القاضي عبدالجبار : وتثبيت دلائل النبوة،دار المصطفى ،شبرا،القاهرة
٤٧)القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،ج١، تحقيق هشام سمير البخاري،الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م
٤٨)محمد فؤاد عبد الباقي : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الفكر، بيروت
٤٩) محمد إقبال : تطور الفكر الفلسفي في إيران،ترجمة حسن الشافعي، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط١٤٠٩،١هـ،١٩٨٩م
٥٠)محمد الخضر حسين : موسوعة الأعمال الكاملة ، المجلد الرابع(محمد رسول الله وخاتم النبيين)، اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، الطبعة الأولى١٤٣١هـ،٢٠١٠م
٥١) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤،ج١
٥٢) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة
٥٣)محمد رشيد رضا : تفسير المنار،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١
٥٤)محمد رشيد رضا : مجلة المنار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،١٣٢٧هـ ،الطبعة الثانية، المجلد السادس

٥٥) محمد عبده: الأعمال الكاملة : الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م
٥٦)محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ،١٩٩٤م
٥٧) محمد عثمان الخشت : الدين والميتافيزيقا عند هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
٥٨) محمد فريد وجدي : الإسلام في عصر العلم، ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة
٥٩)محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر بيروت، المجلد السادس
٦٠)محمد متولي الشعراوي : معجزة القرآن، الناشر أخبار اليوم
٦١)محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشر الأولى، دار الشروق،ط ١٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م
٦٢) مرتضى الزَّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية ،ج١٥
٦٣)مصطفى صبري : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تحقيق أنور الباز،وعامر الجزار، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ،١٩٨١ م،ج٤
٦٤)ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثاني من المجلد الأول (٢)، ترجمة محمد بدران، والجزء الأول من المجلد العاشر (٣٩)، ترجمة فؤاد أندراوس وعلي أدهم، دار الجيل، بيروت ــ لبنان
٦٥) يمنى طريف الخولي : الطبيعيات في علم الكلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع
٦٦)يمنى طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين، ضمن سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ديسمبر ٢٠٠٠م،رقم العدد٢٦٤، ص ١١٠ ومابعدها